رِعَايَةُ اللهِ لِلأَنبِيَاءِ وَالأَوْلِيَاءِ السَّابِقِينَ
(دِرَاسَةٌ مَّوْضُوعِيَّةٌ قُرْآنِيَّةٌ)

إِعْدادُ:
د. مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْعَوَاجِيِّ
الأُسْتَاذِ الْمُشَارِكِ فِي كُلِّيَّةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي الْجَامِعَةِ

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

مجلة الجامعة الإسلامية

مجلة علمية محكمة
تصدر عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

العدد ١٥٥ - السنة ٤٤ - ١٤٣٢هـ

المقدِّمة

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأُمة وكشف الله به الغمة، تركنا على بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آل بيته وأصحابه ومن سار على هديه واستن بسنته إلى يوم الدين ... وبعد:

الأنبياء صلوات الله عليهم جميعاً بشر من آحاد البشر، واصطفاهم الله بأن جعلهم أنبياء وأهلهم لذلك بالعلم، لأنه لا يمكن أن يعلموا الناس ويرشدوهم إلى الله تعالى بدون علم، وهذا العلم الذي تعلموه من عند الله تعالى أوحى الله به إليهم عن طريق جبريل عليه السلام، فلا غرابة أن نقول عن هؤلاء الأنبياء أنهم كانوا طلبة علم يتعلمون ويعلمون.

ولتلك الفئة الذين اصطفاهم الله أنبياء عنايةٌ خاصةٌ من الله تعالى، فالله تعالى أراد أن يهيئهم لحمل وتبليغ رسالته للناس، فحظوا بكل أنواع الرعاية الإلهية.

فهذا البحث محاولة لعرض رعاية الله تعالى لأنبيائه عليهم الصلاة والسلام – قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم – الذين اعتنى بهم الله تبارك وتعالى، وربَّاهم، وعلمهم، وأهَّلهم لحمل رسالته، وهذه المحاولة ليست على وجه التفصيل ولكن على وجه الإجمال مراعاةً لعدم الإطالة، لأن المقصود هو إيصال الفكرة، وعنونته: رعاية الله للأنبياء والأولياء السابقين، وذلك ضمن سلسلة بحوث: (بغية الراغب في منهج الإسلام في رعاية من للعلم طالب).

سبب اختيار الموضوع :

- الحاجة الشديدة لمنهج رباني في رعاية طلاب العلم.
- ربط الأُمة بالقرآن الكريم، والتأسي بسيرة الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام.
- إبراز جانب رعاية الله تعالى بطلاب العلم متمثلةً في رعايته لأنبيائه وعباده الصالحين.
- حاجة الأُمة إلى رعاية طلاب العلم فيها؛ لتكون مصنعاً يخرج أتباعاً وارثين تلك المهمة، وهي نشر ميراث النبوة وتبليغ الرسالة، وإيصال رحمة الله لخلقه.
- حاجة الأُمة إلى طلبة علم يقتدون بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالتجاوب الإيجابي مع

تلك الرعاية الإلهية سواء في تلقيهم العلم، أو في تبليغه لأقوامهم.

- بعد كثير من المعلمين والمربين وأهل الخير عن الاهتمام بجانب رعاية طلاب العلم.

خطة البحث :

هذا البحث يشتمل على مقدمة، وفصلين، وخاتمة، وقائمة بالمراجع، ثم فهرس للموضوعات.

وكان ذلك وفق الخطة التالية:

المقـــدمـــة : وتشتمل على سبب اختيار الموضوع، وخطة البحث، ومنهجيته.

الفصل الأول: رعاية الله لأنبيائه عليهم الصلاة والسلام :

المبحث الأول: رعاية الله للأنبياء عموماً.

المبحث الثاني: رعاية الله لآدم عليه الصلاة والسلام وذريته.

المبحث الثالث: رعاية الله لإبراهيم عليه السلام:

المطلب الأول: الرعاية العلمية.

المطلب الثاني: الرعاية التربوية لإبراهيم عليه السلام.

المطلب الثالث: الرعاية الأسرية لإبراهيم عليه السلام.

المبحث الرابع: رعاية إبراهيم لابنه إسماعيل عليهما السلام.

المبحث الخامس: رعاية الله ليوسف عليه السلام.

المبحث السادس: رعاية يعقوب ليوسف وإخوته عليهم السلام.

المبحث السابع: رعاية الله لموسى عليه السلام ولأمه.

المبحث الثامن: رعاية الله لداود عليه السلام.

المبحث التاسع: رعاية الله لسليمان عليه السلام.

المبحث العاشر: رعاية الله لأيوب عليه السلام.

المبحث الحادي عشر: رعاية الله ليحيى وأبيه زكريا عليهما الصلاة والسلام.

المبحث الثاني عشر: رعاية الله لعيسى عليه الصلاة والسلام ولأمه.

الفصل الثاني: نماذج رعاية الله لأتباع الأنبياء والرسل في طلب العلم وتعليمه:

المبحث الأول: قصة موسى والخضر:

المطلب الأول: معنى الآيات إجمالاً.

المطلب الثاني: الفوائد المستنبطة من القصة.

المبحث الثاني: قصة مؤمن آل فرعون.

المبحث الثالث: قصة الغلام والساحر والراهب:

المطلب الأول: ما ورد من القصة في القرآن والسنة.

المطلب الثاني: الفوائد العملية من القصة.

المبحث الرابع: قصة أصحاب الكهف.

الخاتمة : وبينت فيها أبرز نتائج البحث وتوصياته.

الفهارس: وهي قائمة المصادر والمراجع وفهرس للموضوعات.

منهجية البحث:

المنهجية التي سلكتها في كتابة هذا البحث تتمثل في النقاط التالية:

- عزو الآيات المستشهد بها للسورة ورقم الآية عقب كل آية.
- الاعتماد على كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في استنباط القواعد والأحكام.
- اعتمدت على كتب التفسير بالمأثور خاصة للبحث في معاني الآيات، وعلى كتب التفسير عامة في صياغة البحث ومسائله.
- التزمت إيراد الأحاديث الصحيحة فقط، ولم أستشهد بحديث اتفق على ضعفه.
- اعتمدت في تصحيح الأحاديث على أقوال أهل الشأن في هذا المجال.
- اجتهدت قدر استطاعتي أن لا أذكر قاعدة ولا حكماً، ولا أمراً من أمور رعاية الله لأنبيائه وأتباعهم إلاّ وأدلل عليه من القرآن، وما يفسره من السنة، و أقوال أئمة السلف.
- التزمت قدر المستطاع عدم ذكر الخلاف في المسائل الفقهية.
- محاولة الفهم العميق، والإمعان القوي في نصوص الكتاب والسنة لاستخراج ذلك المنهج التربوي الرائد في رعاية طالب العلم.

والله سبحانه أسأل أن ينفع بهذا العمل وأن يجعله حجة لنا لا علينا وأن يلهمنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يجبر تقصيري في هذا البحث، وأن يغفر ما كان فيه من خطأ وزلل، وأن يبارك فيه. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

الفصل الأوّل

رعاية الله لأنبيائه عليهم السلام

لقد أبرز القرآن الكريم عناية الله تعالى بأنبيائه، وبين كيف أن الله تعالى أولاهم عناية خاصة تمثلت في جميع أمور حياتهم الدينية والدنيوية، والعلمية والعملية، وأوصاهم بوصايا هي بمثابة قواعد في تأهيلهم للدعوة فساروا علي منهاجها بعيدين عن كل ما يخل بنبوتهم ودعوتهم.

وفي هذا الفصل يتضح هذا الأمر من خلال تسليط الضوء على جوانب رعاية الله تعالى لأنبيائه وتلبية احتياجاتهم العلمية والتربوية والنفسية والأسرية وغيرها من جوانب الرعاية. وذلك من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: رعاية الله للأنبياء عموماً.

المبحث الثاني: رعاية الله لآدم عليه الصلاة والسلام وذريته.

المبحث الثالث: رعاية الله لإبراهيم عليه السلام:

المطلب الأول: الرعاية العلمية.

المطلب الثاني: الرعاية التربوية لإبراهيم عليه السلام.

المطلب الثالث: الرعاية الأسرية لإبراهيم عليه السلام.

المبحث الرابع: رعاية إبراهيم لابنه إسماعيل عليهما السلام.

المبحث الخامس: رعاية الله ليوسف عليه السلام.

المبحث السادس: رعاية يعقوب ليوسف وإخوته عليهم السلام.

المبحث السابع: رعاية الله لموسى عليه السلام ولأمه.

المبحث الثامن: رعاية الله لداود عليه السلام.

المبحث التاسع: رعاية الله لسليمان عليه والسلام.

المبحث العاشر: رعاية الله لأيوب عليه السلام.

المبحث الحادي عشر: رعاية الله ليحيى وأبيه زكريا عليهما الصلاة والسلام.

المبحث الثاني عشر: رعاية الله لعيسى عليه الصلاة والسلام ولأمه.

المبحث الأوّل

رعاية الله للأنبياء عموماً

المطلب الأول: الرعاية الشاملة لجميع الأنبياء.

قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام: ٨٤ – ٩٠]

يمكن إجمال رعاية الله تعالى لأنبيائه من خلال الآيات في النقاط التالية :

١– إرشادهم وتعليمهم وهدايتهم إلى الطريق المستقيم :

فقد ذكر الله هدايته لهم في هذا المقطع ثلاث مرات: ﴿وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾.

"وكرر الهداية على سبيل التوضيح للهداية السابقة، وأنها هداية إلى طريق الحق المستقيم القويم الذي لا عوج فيه وهو توحيد الله تعالى وتنزيهه عن الشرك"[1].

(١) البحر المحيط ٤/ ١٧٩.

قال ابن كثير: "ذكر أصولهم وفروعهم. وذوي طبقتهم، وأن الهداية والاجتباء شملهم كلهم؛ ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ أي: إنما حصل لهم ذلك بتوفيق الله وهدايته إياهم"(١)، قال الجنيد: "أي أخلصناهم وآويناهم ودللناهم للاكتفاء بنا عما سوانا وهم أهل السابقة الذين سألوه سبحانه الهداية"(٢).

ومثل ذلك ما قوله تعالى في سورة مريم بعد ذكر مجموعة من الأنبياء: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾﴾ [سورة مريم: ٥٨].

٢- أنَّ الله آتاهم الكتاب والحكمة:

قال تعالى عن جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ [سورة الأنعام ٨٩]، وقال تعالى عن عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة آل عمران:٤٨].

وقال تعالى عن محمد ﷺ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾[سورة آل عمران ١٦٤].

فبين سبحانه الحكمة الإلهية من ذلك الإتيان والتعليم: وهو أن يبلغوه للناس ويعلموهم إياه ويربوهم عليه تربية خاصة تجعلهم حكماء بعد أن كانوا ضلالاً ضائعين، ولذا أمر أتباعهم من العلماء والأحبار بذلك؛ فقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة آل عمران ٧٩].

---

(١) تفسير القرآن العظيم٢/٢٩٨- ٢٩٩. باختصار.

(٢) روح المعاني٧/٢٥٦ باختصار.

٣- جعل الله لهم من أبنائهم وذرياتهم صالحين ومصلحين:

قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام وذريته: ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ ﴾ [سورة مريم ٤٨-٥٠].

وقال تعالى عن عدد من الأنبياء : ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ﴾[سورة الأنعام ٨٥-٨٧].

٤- تسخر الله معاشهم:

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾[سورة الفرقان ٢٠]، قال العلماء: أي يتجرون ويحترفون[1]. فجعل أمر الرعاية المادية للأنبياء كسائر الناس.

٥- جمع الله لهم بين النبوة والابتلاء:

قال تعالى عن لوط عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [سورة الأنبياء: ٧٤].

وقال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة القصص ١٤].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٣/١٤ .

وقد بين النبي ﷺ ذلك صريحا: (أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب – وفي رواية: قدر– دينه، فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة)[1].

٦– جمع الله لهم بين النبوة والبشرية:

من رعاية الله لأنبيائه أنه يهب لهم الأولاد ليشبع عندهم هذه الرغبة الإنسانية، وهذه الهبة جزاء ومكافأة على إحسانهم؛ قال تعالى عن زكريا عليه السلام: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٨٩ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠﴾[الأنبياء ٨٩–٩٠]. وقد وهب الله عامة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أزواجاً وذرية، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝٣٨﴾ [الرعد: ٣٨].

المطلب الثاني: الرعاية العامة لبعضهم.

إن المتتبع لآيات القرآن يجد رعاية الله تعالى لبعض أنبيائه في أمور معينة، من أهمها:

١– مكن الله بعضهم من رعاية أبنائهم حتى جعلهم أنبياء:

ويتضح ذلك من أن كثيراً من الأنبياء رعوا أبناءهم، أو رعاهم أقرباؤهم من أي جهة كانوا، فأخرج الله منهم أئمة يدعون إلى الله:

فهذا إبراهيم عليه السلام يعتني بأبنائه ويوصيهم قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٣٢﴾[سورة البقرة ١٣٢].

---

(١) أخرجه الترمذي كتاب الزهد باب ما جاء في الصبر على البلاء (٢٣٩٨)، وابن ماجه كتاب الفتن باب الصبر على البلاء (٤٠٢٣)، وأحمد (١٤٨١) و(١٤٩١) و(١٥٥٥) و(١٦٠٧)و (٢٧٠٧٩)، وصححه الألباني في الصحيحة ٢٢٥/١ (١٤٣).

وكذلك يعقوب عليه السلام يعني بأبنائه، فيجمعهم ليطمأن على عقيدتهم كما قال تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾[سورة البقرة ١٣٣]. ومن هنا يتضح دور الآباء والأقارب في رعاية طلاب العلم.

٢- جمع الله لبعضهم بين النبوة والملك:

قال تعالى عن إبراهيم وذريته من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [سورة النساء ٥٤]. وقال تعالى عن داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [سورة الأنبياء ٧٩].

وقال تعالى عن يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة يوسف ٢٢].

المبحث الثاني

رعاية الله لآدم عليه الصلاة والسلام

تبرز رعاية الله سبحانه وتعالى لآدم عليه الصلاة والسلام وذريته من خلال ما ذكره الله تعالى في القرآن عبر عدد من المواقف، ومن أهمها وأبرزها:

١- تعليم الله آدم الأسماء:

قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة البقرة ٣١-٣٢]. فعلّم الله آدم الأسماء كلها[1]، كما جاء في الآية، وكما ورد في حديث الشفاعة المعروف وفيه: قول

(١) نحن لا نعلم تفصيلات ذلك التعليم لأنه لم يرد في القرآن ولا في السنة ما يشير إلى تفاصيله.

النبي ﷺ (فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أما ترى الناس؟ خلقك الله بيديه، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، اشفع لنا عند ربك .....)[1]. فمن عناية الله تعالى لآدم عليه السلام وذريته، أن علم آدم كل شيء لكي يقوم بواجب الخلافة في الأرض، إذ كيف يقوم بواجب الخلافة المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة: ٣٠] بدون علم؟.

٢- تكريم الله لآدم عليه السلام بسجود الملائكة له:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾[سورة البقـــرة ٣٤]. وهذه من الرعاية النفسية التي كرم الله تعالى بها آدم عليه السلام، لأنه تميز عن الملائكة بالعلم فيما جعله الله له من الفضل والتشريف كما في الآية.

٣- تحذير الله لآدم من إبليس وحسده:

قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ [سورة طه ٢٠]. فمن رعاية الله تعالى لآدم أن حذره وذريته من إبليس ومن حسده، قال ابن جرير: "فلا تطيعاه فيما يؤمركما به، فيخرجكما بمعصيتكما ربكما، وطاعتكما له، فيكون عيشك من كدّ يدك، فذلك شقاؤه الذي حذّره ربه"[2].

وهذا التحذير أيضاً لكي يحذر آدم وذريته من العوائق التي سيضعها الشيطان لكي يوقف عملية الاستخلاف في الأرض، والتي بطبيعة الحال تحتاج إلى العلم، فكما أن التعليم مهم فكذلك التحذير من عوائق طلبه مهم أيضاً.

---

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير باب قول الله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾(٤٢٠٦)، ومسلم كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٣).

(٢) جامع البيان ١٨/٣٨٥.

٤- ترغيب آدم في الجنة ونعيمها:

قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [سورة طه: ١١٧-١١٩].

فقد نبه الله تعالى آدم على فضائل الجنة التي لا ينالها في غيرها من أمر الحياة الدنيا بل ينالـه عكسها ففيها -أي أرض الدنيا- الجوع والعري والظمأ والتعب والنصب... الخ.

٥- اختبار آدم وتعليمه أسباب الثبات:

ومن رعاية الله تعالى لآدم عليه السلام اختبار آدم عليه السلام هل سيطيع ربه أم سيعصيه ويتبع إغواء الشيطان، وذلك بعد أن علّمه خطر هذا الشيطان وبين له ما سيصيبه لو أنه عصى أمره سبحانه فقال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة البقرة ٣٤-٣٦]، فكان هذا الاختبار رحمة لـه ولذريته، إذ بقي تمييزاً للصادق من الدَّعي، وقد بان بهذا الاختبار المطيع والعاصي، وأسباب الطاعة والمعصية، وبه اتضحت مداخل العدو المتربص أعاذنا الله من شرّه ووسوسته، ومن شرّ أتباعه.

٦- تعليم آدم ستر العورة:

قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا﴾ [سورة الأعراف ٢٧]. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [سورة الأعراف ٢٢] فعندما عصى آدم وزوجته أَمْرَ الله تعالى "ظهرت عورة كل منهما بعد ما كانت مستورة، فصار للعري الباطن من التقوى في هذه الحال أثر في اللباس الظاهر، حتى انخلع فظهرت عوراتهما، ولما ظهـرت عوراتهما خَجِلا وجَعَلا يخصفان على عوراتهما من أوراق شجر الجنة، ليستترا بذلك"[1].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٢٨٥.

٧- تعليم الله آدم التوبة:

لم يترك الله تعالى آدم عليه السلام هكذا لا يدرى ماذا يفعل، بعدما أخرج هو وزوجته من الجنة، وهذا من رعايته سبحانه وتعالى له ولذريته فقد علمه الله تعالى كيف يتوب ويستغفر قال تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سورة البقرة ٣٧].

وهذه الكلمات التي تعلمها آدم من ربه جاء تفصيلها في قوله تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة الأعراف ٢٣][(١)].

٨- تعليم الله بَني آدم الدفن:

قال تعالى: ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [سورة المائدة ٣١].

عن ابن عباس قال: مكث يحمل أخاه في جرابٍ على رقبته سنةً، حتى بعث الله عزَّ جل وعز الغُرابين، فرآهما يبحثان، فقال: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ﴾؟ فدفن أخاه[(٢)].

"فلم يعرف الأخ القاتل كيف يواري جسد أخيه فأراد الله تعالى تعليمه وتعليم من بعده بأن أرسل الغراب يحفر في الأرض بمنقاره وبحث فيها برجله وكأنه يقول لذلك الإنسان العاجز: تعلم مني، واحفر حفرة واجعلها قبرا، وضع فيها جثة أخيك"[(٣)].

---

(١) رُوِيَ هذا عن مجاهد، وسعيد بن جبير، وأبي العالية، والربيع بن أنس، والحسن، وقتادة، ومحمد بن كعب القُرَظي، وخالد بن مَعْدان، وعطاء الخراساني، وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم، انظر: تفسير القرآن العظيم ١/٢٣٨، والجامع لأحكام القرآن ١/٣٢٤.

(٢) جامع البيان ١٠/٢٢٥، وتفسير ابن أبي حاتم ٤/٢(١٨٠).

(٣) القصص القرآني ١/١٤٦-١٤٧.

المبحث الثالث

رعاية الله لإبراهيم عليه السلام

المطلب الأول: الرعاية العلمية.

١- تعليمه التفكر في خلقه:

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ۝٧٥﴾ [سورة الأنعام: ٧٤]. والمعنى: "كما أرينا إبراهيم البصيرة في دينه والحق في خلاف قومه وما كانوا عليه من الضلال في عبادة الأصنام نريه ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ فلهذا السبب عبر عن هذه الرؤية بلفظ المستقبل في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ لأنه تعالى كان أراه بعين البصيرة أن أباه وقومه على غير الحق فخالفهم فجزاه الله بأن أراه بعد ذلك ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ فحسنت هذه العبارة لهذا المعنى"[(١)]. وفي هـذا "إشارة إلى حجّة مستنبطة من دلالة أحـوال الموجودات على وجود صانعها.

والرؤية هنا مستعملة للانكشاف والمعرفة، فالإراءة بمعنى الكشف والتعريف، فتشمل المبصرات والمعقولات المستدلّ بجميعها على الحق وهي إراءة إلهام وتوفيق، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٥]، فإبراهيم عليه السلام ابتدأ في أوّل أمره بالإلهام إلى الحقّ كما ابتدأ رسول الله ﷺ بالرؤية الصادقة. ويجوز أن يكون المراد بالإراءة العلم بطريق الوحي. وقد حصلت هذه الإراءة في الماضي فحكاها القرآن بصيغة المضارع لاستحضار تلك الإراءة العجيبة كما في قولـه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا﴾ [سورة فاطر: ٩] . . . وإضافة ملكوت السماوات والأرض على معنى [في]. والمعنى ما يشمله المُلك أو الملك، والمُراد مُلك الله. والمعنى نَكْشِف لإبراهيم دلائل مخلوقاتنا أو عظمة سلطاننا كشفاً يطلعه على حقائقها ومعرفة أن لا

---

(١) تفسير الخازن ٢/٤٠٨.

خالق ولا متصرّف فيما كشفنا له سوانا."[1].

٢- تعليمه قوة الحجة:

ويظهر ذلك في عدة مواقف منها: موقفه في محاجة قومه، وموقفه في هدم الأصنام، وموقفه في مناظرة النمرود، فإن الله رفعه بالعلم واليقين وقوة الحجج قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ ﴾ [سورة الأنعام ٧٥]. وقال تعالى: ﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٨٣ ﴾ [سورة الأنعام ٨٣]. وقال تعالى: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨١ ﴾ [سورة الأنعام: ٨٠-٨١]

٣- تعليمه قوة المناظرة:

قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةًۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٧٤ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩ ﴾ [سورة الأنعام ٧٤-٧٩]. وقال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥٨ ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٨]

فقد تضمنت قصص الخليل عليه السلام الخبر عنه في فن المناظرة وآدابها، وطرقها ومسالكها النافعة، وكيفية إلزام الخصم بالطرق الواضحة التي يعترف بها أهل العقول، وإلجاؤه الخصم الألد إلى

(١) التحرير والتنوير ٤/٤٩٧.

الاعتراف ببطلان مذهبه، وإقامة الحجة على المعاندين وإرشاد المسترشدين.

٤- تعليمه البناء:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [سورة البقرة ١٢٧]. فإن الله تعالى أمره أن يبني الكعبة، وأهَّله لذلك العمل، وجعل ابنه يساعده في ذلك.

ويؤخذ من هذا درس لطيف وهو أنه على الدعاة أن تكون لديهم خبرات في تلبية احتياجات الدعوة، فعندما أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام ببناء الكعبة، كانت تحتاج إلى معرفة وخبرة بالبناء، فالله سبحانه وتعالى كما علمه الوحي والرسالة، كذلك أكسبه وأعطاه خبرة بناء الكعبة.

المطلب الثاني: الرعاية التربوية لإبراهيم عليه السلام:

١- تربيته على الأدب مع الله تعالى:

قال تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ الْعَٰلَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١)﴾ [سورة الشعراء: ٧٥-٨١].

فقوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠)﴾ "إسناده فعل المرض إلى نفسه تأدب مع الله راعى فيه الإسناد إلى الأسباب الظاهرة في مقام الأدب، فأسند إحداث المرض إلى ذاته ولأنه المتسبب فيه"[(١)].

فلا ينسب مرضه إلى ربه وهو يعلم أنه بمشيئة ربه يمرض ويصح إنما يذكر ربه في مقام الإنعام والإفضال إذ يطعمه ويسقيه ويشفيه، ولا يذكره في مقام الابتلاء حين يبتليه.

٢- تربية الله له على أدب الحوار:

ويتضح هذا من خلال مواقف أدبه في الحوار مع والده:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا (٤٢) يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا (٤٣) يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَٰنَ إِنَّ الشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا

(١) التحرير والتنوير ١٩/١٤٢.

﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾﴾ [سورة مريم: ٤٢-٤٧].

بهذا اللطف والأدب في الحوار يتوجه إبراهيم إلى أبيه، يحاول أن يرشده إلى الخير الذي هداه الله إليه، وعلمه إياه؛ وهو يتحبب إليه ويتجنب أي أسلوب يؤذي نفسية والده.

٣- تطمين قلبه بإراءته مقدرة الله على إحياء الموتى:

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦٠﴾﴾ [سورة البقرة ٢٦٠].

"فأخبر تعالى عن خليله إبراهيم أنه سأله أن يريه بصره كيف يحيي الموتى، لأنه قد تيقن ذلك بخبر الله تعالى، ولكنه أحب أن يشاهده عيانا ليحصل له مرتبة عين اليقين، فلهذا قال الله له: ﴿قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾ وذلك أنه بتوارد الأدلة اليقينية مما يزداد به الإيمان ويكمل به الإيقان ويسعى في نيله أولو العرفان"(١).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "والتحقيق في هذا الباب أن العيان أتم وأكمل والسماع أعم وأشمل فيمكن أن يعلم بالسماع والخبر أضعاف ما يمكن علمه بالعيان والبصر أضعافا مضاعفة ولهذا كان الغيب كله إنما يعلم بالسماع والخبر ثم يصير المغيب شهادة والمخبر عنه معاينا وعلم اليقين عين اليقين"(٢).

٤- تربيته على السمع والطاعة المطلقة:

ويظهر أثر ذلك في موقفين:

الموقف الأول: الاستسلام لله عندما أمره بذبح ابنه:

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص١١٢.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ١٠/٦٤٦.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ ﴾[سورة الصافات: ١٠٢-١٠٦].

نقف هنا وقفة تأمل لهذا الاستسلام العظيم الذي لا تملك الأقلام تصويره إلا كما يصوره رب العالمين في كتابه، نقف وقفة في ظلال هذه الآيات وقفة إعزاز وإكبار لهذه التربية الإيمانية العظيمة التي جعت إبراهيم عليه السلام يصل إلى هذه الدرجة العالية من الطاعة والاستسلام.

لله مـــا أروع الإيمان والطاعـــة والتسليم! فإبراهيم شَابَ عُمـــره ويُرزق في كبـــره بغلامٍ طالما تطلع إليه.

ولما رُزقه كان غلاماً متميزاً يشهد له ربه بأنه حليم. وما يكاد يأنس به، وصباه يشبُّ؛ فيبلغ معه السعي، ويرافقه في الحياة .. ما يكاد يأنس ويستروح بهذا الغلام الوحيد؛ حتى يرى في منامه أنه يذبحه!!. ويدرك أنها أمر من ربه بالتضحية. فماذا؟ إنه لا يتردد، ولا يخالجه إلا شعور الطاعة، ولا يخطر له إلا خاطر التسليم .. نعم إنها مجرد رؤيا. ولكنها وحيٌ من ربه؛ وهذا يكفي!! هذا يكفي ليلبي ويستجيب، ودون أن يعترض، ودون أن يسأل ربه؛ لماذا يا رب أذبح ابني الوحيد؟!

ولكنه لا يلبي في انزعاج، ولا يستسلم في جزع، ولا يطيع في اضطراب . .

كلا إنما هو القبول والرضا والطمأنينة والهدوء، يبدو ذلك في كلماته لابنه وهو يعرض عليه الأمـــر الهـــائل في هـــدوء وفي اطمئنـــان عجيب:﴿ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ ﴾.

فهي كلمات المالك لأعصابه، المطمئن للأمر الذي يواجهه، الواثق بأنه يؤدي واجبه .

وإنَّ الأمر شاقٌ؛ وما في ذلك شك .. إذ يُطلب إليه أن يتولى هو بيده ذبحه .. وهو مع هذا يتلقى الأمر هذا التلقي، ويعرض على ابنه هذا العرض؛ ويطلب إليه أن يتروى في أمره، وأن يرى فيه رأيه! إنه لا يأخذ ابنه على غرة لينفذ أمر ربه.

ويخطو إلى التنفيذ : ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴾. هنا يرتفع نبل الطاعة، ويعظم الإيمان . فهو طمأنينة الرضا وراء كل ما تعارف عليه بنو الإنسان، وقد وصل الأمر إلى أن يكون عياناً . لقد أسلما.. فهذا هو الإسلام؛ إذ كلاهما لا يجد في نفسه إلا هذه المشاعر التي لا يصنعها غير الإيمان

العظيم، وعلم الله من إبراهيم وإسماعيل صدقهما، فاعتبرهما قد أدَّيا وحققا وصدقا: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ۝١٠٦﴾.

قد صدقت الرؤيا وحققتها فعلاً. فالله لا يريد إلا الإسلام والاستسلام بحيث لا يبقى في النفس ما تكنه عن الله أو تعزه عن أمره أو تحفظ به دونه، ولو كان هو الابن فلذة الكبد.

الموقف الثاني: تركه لزوجته وابنه في مكة:

قال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ۝٣٧﴾ [سورة إبراهيم: ٣٧].

عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: "جاء إبراهيم بهاجر وبابنها إسماعيل، عليهما السلام، وهي ترضعه، حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زَمْزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جرابًا فيه تمر وسقَاء فيه ماء، ثم قَفَّى إبراهيم، عليه السلام، منطلقًا. فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارًا، وجعل لا يلتفت إليها. فقالت آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذًا لا يضيعنا. ثم رجعت. فانطلق إبراهيم، عليه السلام، حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الدعوات، ورفع يديه، قال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ۝٣٧﴾ [سورة إبراهيم: ٣٧]"[1].

فتربى إبراهيم عليه السلام من هذا الموقف على الاستسلام لله تعالى وأن هذا الاستسلام لا يأتي إلا بخير وخصوصاً إذا علمنا موقف هاجر وزمزم؛ وإنجاء الله لها وابنها من العطش، فكل هذا تربية لإبراهيم عليه السلام على الاستسلام.

---

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير باب يزفون برقم (٣١٨٤).

٥– تربيته على الدعاء والالتجاء إليه في وقت الشدة:

كما في دعائه عندما ترك زوجته وابنه فقد كان دعاؤه: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾[سورة إبراهيم: ٣٧].

٦– تربيته على الإيمان بأنه لا يمسه إلا ما كتب له:

فقد ربى الله تعالى إبراهيم عليه السلام على أنه لا يمسه إلا ما كتبه الله، وأن نواميس الكون تتغير لعباد الله الصالحين ولن يخذل الله عباده، كما في نجاته من النار. قال تعالى: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩﴾ [سورة الأنبياء ٦٩]. قال تعالى: ﴿قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَانٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ٩٧ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٩٨﴾[سورة الصافات: ٩٧ –٩٨].

المطلب الثالث: الرعاية الأسرية لإبراهيم عليه السلام.

١–جعله الله تعالى باراً بأبيه مؤدباً في الحديث معه:

فقد حرص إبراهيم عليه السلام على هداية والده بأسلوب لين سهل، ولكن والده قابل ذلك بالجفوة والقسوة عليه في الكلام، ولكنه من بره لأبيه جاء رده: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧﴾ [سورة مريم ٤٧].

٢–رزقه الله ابناً باراً يطيعه ويساعده:

وهذا الجزاء من جنس العمل، فقد عوض الله إبراهيم عليه السلام عن أبيه خيراً، بأن رزقه ابناً صالحاً باراً، فمن بره بأبيه أنه كان يساعده في بناء الكعبة، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ﴾ [سورة البقرة ١٢٧].

واستجاب له في أمر الذبح عندما قال له: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾ فرد إسماعيل الابن البار على أبيه مباشرة: ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢﴾[سورة الصافات ١٠٢].

وكذلك أطاعه عندما أمره أن يطلق زوجته فقد أخرج البخاري في قصة إبراهيم: (... فجاء

إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم. فقالت: نحن بشر نحن في ضيق وشدة فشكت إليه. قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له: يغير عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئاً، فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشنا فأخبرته: أنا في جهد وشدة. قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم. أمـــرني أن أقرأ عليك السلام ويقول غير عتبة بابك. قـــال: ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك، الحقي بأهلك فطلقـــها، وتزوج منهم أخرى.

فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثم أتاهم بعد، فلم يجده، فدخل على امرأته فسألها عنه. قالت: خرج يبتغي لنا. قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم. قالت: نحن بخير وسعة وأثنت على الله. فقال ما طعامكم؟ قالت: اللحم. قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء. قال: اللهم بارك في اللحم والماء. قال النبي صلى الله عليه و سلم: (ولم يكن لهم يومئذ حب، ولو كان لهم دعا لهم فيه). قال: فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه. قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم أتانا شيخ حسن الهيئة. وأثنت عليه. فسألني عنك فأخبرته. فسألني: كيف عيشنا. فأخبرته أنا بخير. قال: فأوصاك بشيء قالت: نعم هو يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك. قال: ذاك أبي، وأنت العتبة أمرني أن أمسكك)[1].

٣–أشبع الله تعالى له رغبة الأبوة رحمة منه سبحانه:

فقد رزقه الله على الكبر في السن مع عقم الزوجة أبناء صالحين، ورثوا علمه ودعوته، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [سورة إبراهيم٣٩]، وقال تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة هود: ٧٢-٧٣].

---

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير باب يزفون برقم(٣١٨٤).

٤–حفظ الله له أسرته:

وذلك عندما ترك زوجته وابنه إسماعيل في مكة، قال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ [سورة إبراهيم٣٧]. وعندما أراد أحد الحُكّام أن يعتدي على زوجته سارة[١].

٥–فدى الله له ابنه من القتل :

وذلك عندما أمره الله أن يذبح ابنه، قال تعالى: ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ۝٧﴾[سورة الصافات١٠٧].

٦–رعاية الله له في صلاح أولاده وأن تكون النبوة فيهم :

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ۝٤٩ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ۝٥٠﴾ [سورة مريم ٤٩–٥٠].

٧–تربية إسماعيل بطريقة غير مباشرة عن طريق أمه:

فتعلم منها الإيجابية والجدية وعدم اليأس في طلب الرزق، وذلك عندما كانت أمه تسعى بين الصفا والمروة تبحث عن ماء في أرض لا يوجد بها ماء، ولكنها لم تيأس، ففجر الله تعالى من تحته ماء زمزم حتى أصبح هذا درسًا للبشرية كلها وليس لإسماعيل عليه السلام فقط[٢].

وهذه الأمور التي رعى الله تعالى فيها إبراهيم عليه السلام؛ هي رعاية لأبنائه كذلك؛ فإسماعيل عندما يرى والده قد مر بذلك التأهيل والرعاية من الله، فإن ذلك بالنسبة له دروس تربوية عملية، وما كان من رعاية الله لوالده من الناحية الأسرية فإن ذلك رعاية لإسماعيل وإسحاق ويعقوب لأنهم من ذرّية إبراهيم عليهم الصلاة والسلام.

---

(١) القصة أخرجها كاملة البخاري كتاب البيوع باب شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه (٢١٠٤) و (٢٤٩٢، ٣١٧٩، ٤٧٩٦، ٦٥٥٠)، ومسلم كتاب الفضائل باب من فضائل إبراهيم الخليل عليه السلام (٢٣٧١).

(٢) انظر حديث البخاري المتقدم .

المبحث الرابع

رعاية إبراهيم لابنه إسماعيل عليهما السلام

ذكر الله لنا في القرآن قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في غير موضع من القرآن ويمكن أن نجمل رعاية إبراهيم لإسماعيل في النقاط التالية:

أولاً: الرعاية العلمية:

١– كان رسولاً نبياً : من أعظم ما يظهر هذه العناية أن إسماعيل عليه السلام كان رسولاً نبياً، وكان أبوه كذلك، ولا عجب أن يخرج الابن مثل أبيه، فأبوه ينقل تجاربه وعلمه إلى ابنه، فهو يحب أن يكون ابنه مثله أو أحسن منه، وخرج إسماعيل نبي من أنبياء هذه الأُمة. قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ۝٥٤﴾ [سورة مريم :٥٤]. ولا يكون ذلك إلا بتوفيق من الله ورحمة منه .

٢– تعليمه التوحيد ومسائل القضاء والقدر: قال عندما أراد ذبحه بأمر من الله: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٠٢﴾ [سورة الصافات١٠١-١٠٢]." فقد قرن رضاه وطاعته لله بمشيئة الله تعالى، لأنه لا يكون شيء بدون مشيئة الله تعالى"(١).

ثانياً : الرعاية التربوية :

١– تربيته على التسليم الكامل لأمر الله: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٠٢﴾ [سورة الصافات١٠١-١٠٢]. قال ابن كثير: "وإنما أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه، وليختبر صبره وجلده وعزمه من صغره على طاعة الله تعالى وطاعة أبيه"(٢).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٧٠٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢٨/٧.

فماذا يكون من أمر الغلام، الذي يعرض عليه الذبح، تصديقاً لرؤيا رآها أبوه؟

إنه يرتقي إلى الأفق الذي ارتقى إليه من قبل أبوه : ﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٠٢ ﴾ إنه يتلقى الأمر لا في طاعة واستسلام فحسب. ولكن في رضى كذلك وفي يقينَ ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ في مودة وقربى، فشبح الذبح لا يزعجه ولا يفزعه ولا يفقده رشده، بل لا يفقده أدبه ومودته. ﴿ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ ﴾ فهو أحس أن الرؤيا أمر. وأنها تكفي لكي يلبي وينفذ بغير لجلجة ولا تحل ولا ارتياب .

ثم هو الأدب مع الله، ومعرفة حدود قدرته وطاقته في الاحتمال؛ والاستعانة بربه على ضعفه ونسبة الفضل إليه في إعانته على التضحية، ومساعدته على الطاعة: ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ فلم يأخذها بطولة، أوشجاعة، أو اندفاعاً إلى الخطر دون مبالاة. ولم يُظهر لشخصه ظلاً ولا حجماً ولا وزناً .. إنما أرجع الفضل كله لله إذ هو من أعانه على ما يطلب، وصبَّره على ما يراد به: ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾.

٢– تربيته على الصبر على البلاء: قال تعالى عنه: ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٠٢ ﴾ "فالابن قد وطَّن نفسه على الصبر، وهانت عليه في طاعة ربه ورضا والده نفسُه، وقرن ذلك بمشيئة الله تعالى، لأنه لا يكون شيء بدون مشيئة الله تعالى"[(١)].

٣– تربيته على بر الوالدين: فقد لبى طلب أبيه إبراهيم عندما أمره أن يطلق زوجته غير القنوعة كثيرة التشكي، وهذا يبين أنه قد ربي على ذلك من صغره[(٢)]، وقبلها أرضى والده حين قال له أنه سيذبحه، ولم يرفض أو يتردد، وعندما أمره ببناء البيت معه.

٤– تربيته على الصدق: قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ۝٥٤ ﴾ [سورة مريم ٥٤].

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٧٠٦.

(٢) سيأتي ملخص الرواية في ذلك عند البخاري في الحديث عن الرعاية الأسرية.

٥– تربيته على الدعوة وخصوصا دعوة أهله: قال تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ۝٥٥﴾ [سورة مريم ٥٥].

٦– تربيته على الحلم وحسن الخلق: قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ۝١٠١﴾ "ووصف الله إسماعيل، عليه السلام بالحلم، وهو يتضمن الصبر، وحسن الخلق، وسعة الصدر والعفو عمن جنى"(١).

٧– تربيته على الخشونة والرجولة: فقد تركه هو وأمه وهو صغير قال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧]. فنشأ وترعرع في ظل غياب أبيه.

٨– دور الأم في تربية ورعاية طلاب العلم: وكانت ترعاه أمه ويتعاهده أبوه، وهذا يدل على دور الأم في تربية ورعاية طلاب العلم، وكذلك دور الأب في التعاهد والمتابعة ولو بعد حين كما في قصة زيارة إبراهيم لابنه إسماعيل – عليهما الصلاة والسلام– بعد زواجه.

ثالثاً : الرعاية الأسرية:

١– رعايته بعد زواجه: أراد إبراهيم عليه السلام أن يطمئن على ابنه ووريث دعوته من بعده إسماعيل عليه السلام، فَجَاءَه بَعْدَمَا تَزَوَّجَ، فوجد زوجته غير قنوعة بحالها فأمره أن يطلقها فلبى ذلك، ثم جاءه مرة أخرى ليطمئن عليه فوجد عنده زوجة قنوعة راضية بما قدره الله مؤمنة، فأمره أن يحسن إليها ولا يفارقها فأطاعه(٢).

٢– دعاء إبراهيم لأسرته: فقد دعا بأن يحفظ الله إسماعيل وأمه عندما تركهما في مكة: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٢٨﴾ [سورة البقرة١٢٨]. وقال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ۝٣٧﴾ [سورة إبراهيم ٣٧].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٧٠٥.

(٢) أخرج الرواية كاملة البخاري في صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء، باب {يزفون}(٣٣٦١).

رابعاً : الرعاية المادية : وذلك في أمور منها:

١– تعليمه البناء: قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [سورة البقرة ١٢٧].

٢– تعليمه الصيد: فقد جاء في الخبر: "كَانَ عَيْش إِسْمَاعِيل الصَّيْد يَخْرُج فَيَتَصَيَّد، وفي حديث أبي جهم: "وكان إسماعيل يرعى ماشيته ويخرج متنكّباً قوسه فيرمي الصَّيْد"[(١)].

٣– تعليمه الاعتماد على نفسه في كسب المعاش وتحصيله: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ [سورة الصافات ١٠٢]، قال القرطبي : "فلما بلغ معه المبلغ الذي يسعى مع أبيه في أمور دنياه معينا له على أعماله"[(٢)]، وقال أبوحيان: "أي: أن يسعى مع أبيه في أشغاله وحوائجه"[(٣)].

المبحث الخامس

رعاية الله تعالى ليوسف عليه السلام

يمكن إجمال رعاية الله سبحانه وتعالى ليوسف عليه السلام في النقاط التالية:

أولاً: الرعاية العلمية:

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [سورة يوسف: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة يوسف٢٢].

وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة يوسف: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ﴾ [سورة يوسف: ١٠١].

فقد علمه الله تعالى تأويل الرؤيا، وعلمه علم النبوة، وعلمه الحكم والقيادة، وعلمه الاقتصاد في

---

(١) ذكره ابن حجر في الفتح عند شرح حديث رقم (٣٣٦١)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب { يزفون }.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٩٩/١٥ .

(٣) البحر المحيط ٣٠٧/٩.

الأموال، وقبل ذلك كله علمه العقيدة والدعوة، التي برزت في حديثه مع من كانوا معه في السجن.

ثانياً: الرعاية التربوية:

١- تربيته على العبودية لله وحده والالتجاء إليه والتضرع بين يديه: فقد حكى الله عنه دعاءه: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[سورة يوسف ٣٣].

٢- تربيته على الصبر بكل أنواعه: فقد صبر يوسف على الغربة عن أهله، وصبر على كيد إخوته، وصبر عن الوقوع في الفاحشة، وصبر على السجن، وصبر كذلك في وقت الرخاء والنصر فقال: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [سورة يوسف: ١٠٠-١٠١].

فنسب الفضل لله بقوله: ﴿ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ وقوله: ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ ﴾ وقوله: ﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ وقوله: ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾.

٣- تربيته على العفة: قال تعالى: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة يوسف ٢٣]. فرزقه الله العصمة من شر هذه الفتنة– مع توفر أسبابها من غربته وسلطة الداعي والشباب– فاستعاذ بربه منها، وبيّن أنها ظُلم.

٤- تربيته على الذكاء والفطنة: فلقد استطاع أن يبلغ لإخوته رسالة عتاب، وأن يُعَلِّمهم، وأن يأخذ أخاه، وأن يأتي بأبيه وإخوته إليه، كلُّ ذلك بطريقة ذكاء وفطنة قال تعالى: ﴿ فَبَدَأَ

بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [سورة يوسف: ٧٦].

٥- تربيته على الحلم والعفو والصفح عمَّن ظلمه عند المقدرة: وتظهر نتيجة تلك التربية عندما عفا عن إخوته، قال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [سورة يوسف ٩٢].

٦- تربيته على إنكار الذات: فلما طلب منه إخوته العفو منهم سامحهم، ووكل أمر ذلك ونسبه إلى الله: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [سورة يوسف ٩١-٩٢].

٧- تربيته على عدم جرح المشاعر: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة يوسف: ١٠٠].

حيث إنّ يوسف عليه السلام لم يجرح مشاعر إخوته أمام ولده بأن يقول وقد أحسن بي إذ أخرجني من الجب والسجن، واكتفى فقط بالسجن، وكذلك نراه رد ما فعله به إخوته إلى الشيطان ونزغه.

ثالثاً : الرعاية الأسرية:

فقد هيأ الله تعالى ليوسف عليه السلام أباً نبياً يتعلم منه، ويخاف عليه، ويُحذّره من كيد الكائدين واعتداء المعتدين:

١- حذره أن يقص رؤياه على إخوته، ورفض أن يرسله مع إخوته ليلعب معهم إلا أن مشيئة الله فوق كل شيء، قال تعالى: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [سورة يوسف ٥-١٣].

٢- عوضه الله بفقد أهله – بسبب حسد إخوته – أن يتربى في بيت عزّ وملك، وهو بيت العزيز، وأن يتخذوه ولداً لهم يحمونه ويحرصون عليه أشد الحرص والرعاية قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي

أَشْتَرِيهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة يوسف: ٢١].

رابعاً : الرعاية الدعوية:

١- فقد علمه الله تعالى الإقناع والتدرج في الدعوة والبدء بالمهم في أمور الدعوة، تظهر أثر هذه الرعاية في حديثه مع الفتيان في السجن، قال تعالى: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة يوسف: ٣٧-٤٠].

٢- علمه الله تعالى أنَّ وصوله إلى الناس وإلى قلوبهم يجب أن يقوم على النظر في مصالحهم وخدمتهم، فاتخذ الحكم وعلمه الله به طريقاً يسلكه في الدعوة إليه، وهذا من تربية الله له أن جعله يستغل المواقف في الدعوة. ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سورة يوسف: ٣٧].

٣- هيأ الله له أصحاباً في السجن يدعوهم ويعلمهم ويأنس بهم، وكان أحدهم سبباً في إخراجه من السجن وحكمه لمصر بالعدل والحق ونشر دعوة الله، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [سورة يوسف: ٤٥].

٤- اختياره الصبر ودخول السجن على الاستجابة لمكر النساء والعيش بأمان ودعة خارج السجن. قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سورة يوسف: ٣٣].

خامساً: الرعاية الأمنية:

برز ذلك في حفظ الله له من المهالك التي مرّ بها عليه الصلاة والسلام، وذلك عندما :

١- نَجّاه الله تعالى من قتل إخوته له قال تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾[سورة يوسف ١٠].

٢- أنجاه الله وأخرجه من البئر قال تعالى:﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [سورة يوسف١٩].

٣- أنقـــذه الله بشهادة الشاهد لمَّا مكرت به امرأة العزيز، قال تعالى: ﴿ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة يوسف: ٢٦-٢٨].

٤- أنجاه الله تعالى وأخرجه من السجن، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة يوسف: ٥٤].

٥- حذّر أبوه إخوته أن يدخلوا من باب واحد لئلا يُحسدوا على كثرتهم وقوّتهم: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾[سورة يوسف: ٦٨].

سادساً : الرعاية المهارية:

لقد أعطى الله يوسف عليه الصلاة والسلام القدرة والمهارة الكافية على:

١- تأويل الرؤيا: فتأويل الأحاديث علم ومهـــارة، قـــال تعـــالى: ﴿ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾[سورة يوسف ٢١]

٢- الحُكم والإدارة: وخصوصاً في المجال الاقتصادي، فكان ذلك مؤهلٌ لأن يحتاجه عزيز مصر، وأن يبين له كيف يكون ذلك، ويطلب منه أن يكون مسئولاً عن الخزائن، قال تعالى: ﴿قَالَ

تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [سورة يوسف٤٧-٤٩]

٣- التميز بالحفظ والأمانة والعلم بالصنعة: وهي عنصر النجاح في مثل هذه المسئوليات، ولذا مكَّنه عزيز مصر من ذلك قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾ [سورة يوسف ٥٤-٥٥].

٤- حسن الإدارة والتدبير: وذلك عندما طلب إحضارهم لأخيه، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [سورة يوسف: ٥٩]، وكذلك عندما أراد بقاءه عنده، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ ﴾ [سورة يوسف: ٧٠-٧٢]

المبحث السادس

رعاية يعقوب ليوسف وإخوته عليهم السلام

يمكن إيجاز رعاية يعقوب ليوسف وإخوته في النقاط التالية :

أولاً : الرعاية الأمنية المتمثلة في:

١- الحفاظ على يوسف من كيد إخوته وحسدهم، فقد قال له أبوه عندما قص عليه رؤياه ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ ﴾ [سورة يوسف٥].

٢- محاولته عليه السلام عدم دفع يوسف لإخوته عندما طلبوه أن يذهب معهم للعب، ولكنهم ألحُّوا على أبيهم وبينوا أنهم سيحافظون عليه، فقال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة يوسف١٣].

ففي المرّة الأولى حذر يوسف، وفي المرة الثانية قام هو بالدفاع عنه ولكن ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾[سورة يوسف٢١].

٣- حرصه على أبنائه من الحسد والعين: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة يوسف ٦٧].

٤- حرصه على أخي يوسف من الضياع والإهمال: ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة يوسف ٦٤]، إلى قوله: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾﴾ [سورة يوسف٦٦].

٥- أمر أبناءه بالاستمرار والجد في البحث عن يوسف وأخيه: قال تعالى: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [سورة يوسف: ٨٧].

ثانياً: الرعاية التربوية العلمية :

فقد بشَّر يعقوب عليه السلام ابنه يوسف عليه السلام وأخبره أنه سيكون له شأن في المستقبل كما كان لآبائه ليستعد لذلك الحمل العظيم بالعلم والصبر على المكروه؛ قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾[سورة يوسف ٦].

وقد ظهرت جوانب تلك التربية وآثارها في كل مراحل القصة ومن ذلك:

- تربيتهم على التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب، قال تعالى: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة يوسف: ٦٧].

- تربيتهم على عدم اليأس، قال تعالى: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [سورة يوسف: ٨٧].

– تربيتهم على اللجوء إلى الله، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [سورة يوسف: ٨٦].

– تربيتهم على أهمية العقود والمواثيق، قال تعالى: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾﴾ [سورة يوسف: ٦٦].

– الإجمال فيما لا يحسن التفصيل فيه، قال تعالى: ﴿وَجَاءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة يوسف: ١٨]. وكذلك فعل يوسف مع إخوته قال تعالى: ﴿قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [سورة يوسف: ٧٧].

– تربيتهم على الحذر من مسالك الشيطان، قال تعالى: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾ [سورة يوسف: ٥].

– تربيتهم على اللطف في العتاب، ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾﴾ [سورة يوسف: ٩٤].

المبحث السابع

رعاية الله لموسى عليه السلام ولأمه

١– رعاية الله تعالى لموسى بالتثبيت لأمه:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾﴾ [سورة طه ٣٧–٣٩].

وقال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ [القصص: ١٠].

"فمن حسن تدبير الله تعالى ورعايته لموسى وأمه، أن موسى لما وقع في يد عدوه، قلقت أمه قلقا شديدا، وأصبح فؤادها فارغا، وكادت تخبر به، لولا أن الله ثبتها وربط على قلبها، ففي هذه الحالة،

حرم الله على موسى المراضع، فلا يقبل ثدي امرأة قط، ليكون مآله إلى أمه فترضعه، ويكون عندها، مطمئنة ساكنة، قريرة العين، فجعلوا يعرضون عليه المراضع، فلا يقبل ثديا"[١].

٢– رعاية الله لموسى عليه السلام برده إلى أمه:

جاءت أخت موسى: ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾[سورة القصص١٢-١٣].

ما أعظمها من منحة إلهية لأمته المؤمنة إذ جعل من المحبة الهينة اللينة درعاً تتكسر عليها الضربات وتتحطم عليه الأمواج. وتعجز قوى الشر والطغيان كلها أن تمس حاملها بسوء؛ ولو كان طفلاً رضيعاً لا يصول ولا يجول، بل لا يملك أن يقول: إنها مقابلة عجيبة في تصوير المشهد. مقابلة بين القوى الجبارة الطاغية التي تتربص بالطفل الصغير، والخشونة القاسية فيما يحيط به من ملابسات وظروف، ورحمة مولاه اللينة اللطيفة تحرسه من المخاوف، وتقيه من الشدائد وتلفه من الخشونة، ممثلة في المحبة لا في صيال أو نزال.

ما من شرح يمكن أن يضيف شيئاً إلى ذلك الظل الرفيق اللطيف العميق الذي يلقيه التعبير القرآني العجيب، وكيف يصف لسان بشري، خلقاً يصنع على عين الله؟ إن قصارى أي بشري أن يتأمله ويتملاه، إنها منزلة وإنها كرامة أن ينال إنسان لحظة من العناية. فكيف بمن يصنع صنعاً على عين الله؟ إنه بسبب من هذا أطاق موسى أن يتلقى ذلك العنصر العلوي الذي تلقاه.

٣– تربية الله لموسى عليه السلام تربية خاصة:

قال تعالى :﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: "يعني أجعله في بيت الملك ينعم ويترف، غذاؤه عندهم غذاء الملك، فتلك الصنعة"[٢].

والمعنى: "ولتتربى على نظري وفي حفظي وكلاءتي، وأي نظر وكفالة أجلّ وأكمل، من ولاية البر الرحيم، القادر على إيصال مصالح عبده، ودفع المضار عنه؟! فلا ينتقل من حالة إلى حالـــة، إلا والله تعالى هو الذي دبّر ذلك لمصلحة موسى"[٣]. وذلك عند فرعون عدوك وعدوي وفي متناول

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٥٠٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢٨٤/٥.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ٥٠٥.

يده بلا حارس ولا مانع ولا مدافع. ولكن عينه لا تمتد إليك بالشر لأني ﴿أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾. ويده لا تنالك بالضر وأنت تصنع على عيني. ولم أحطك في قصر فرعون، بالرعاية والحماية وأدع أمك في بيتها للقلق والخوف؛ بل جمعتك بها وجمعتها بك.

٤– اختبار وابتلاء موسى عليه السلام مع الرجلين الإسرائيلي والقبطي:

ومن الرعاية أيضا في قوله تعالى: ﴿فَقَتَلَتْ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ وهو القبطي، قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾[سورة القصص١٥]. "فدعا الله وسأله المغفرة، فغفر له، ثم فر هاربا لما سمع أن الملأ طلبوه، يريدون قتله. فجاه الله من الغم من عقوبة الذنب، ومن القتل، ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾[سورة طه:٤٠] أي: اختبرناك، وبلوناك، فوجدناك مستقيما في أحوالك أو نقلناك في أحوالك، وأطوارك، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه"[1].

ولما قتل موسى عليه السلام القبطي علم أن ذلك من عمل الشيطان فاستغفر الله تعالى ودعاه أن لايُطلع عليه قومه الكافرين ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾[سورة القصص: ١٥ – ١٧] فاستجاب الله تعالى دعوته بأن سخر له ناصحاً ينصحه بالخروج من هذا المكان لكي لا يلحقه أذى قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة القصص: ٢٠].

فخرج موسى عليه السلام يطلب من ربه النجاة من القوم الظالمين قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة القصص٢١-٢٢]، فاستجاب الله تعالى دعوته وهيأ له رجلاً صالحاً أكرمه فاطمأن له موسى وقص عليه قصته فطمأنه الرجل فبشره الرجل بأن الله تعالى نجاه من القوم الظالمين، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

(١) للمصدر السابق.

﴿٢٥﴾[سورة القصص٢٤].

٥– رعاية الله له بتوفير أسباب العفة والمعاش:

دعا موسى عليه السلام ربه عندما وصل إلى مدين وسقا لجاريتين بقوله: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة القصص: ٢٤].

فاستجاب الله دعاء نبيه؛ ورزقه الزوجة، والعمل الذي يتكسب منه، قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة القصص: ٢٦ –٢٨].

٦– إزالة ما في صدر موسى عليه السلام من الخوف:

وذلك في عدة مواقف منها:

أولاً: في مدين: فبعدما ذكر الله تعالى قصته مع ابنتي صاحب مدين، ذكر تعالى تبشير صاحب مدين لموسى عليه السلام بالنجاة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾[سورة القصص ٢٥].

ثانياً: عند الطور: قال الله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾[سورة طه: ١٧–٢٣].

فموسى عليه السلام كان فيه من الخوف ما الله به عليم فأراد الله تعالى أن يطمئنه ويهدأ من روعه، فدار هذا النقاش، ومن فوائده أن يُنسى موسى هول الموقف، والله تعالى أعلم.

ثالثاً: عند إرساله إلى فرعون: ذلك عندما أمره بالذهاب إلى فرعون هو أخاه هارون قال موسى: ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة طه: ٤٥] فقال له الله تعالى يطمئنه: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾[سورة طه: ٤٦].

٧– رعاية الله لموسى عليه السلام ببعثه أخاه هارون معه مؤيدا وناصراً:

قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾[سورة مريم ٥٣]. وقال تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾[سورة القصص ٣٤-٣٥].

"فموسى عليه السلام طلب من ربه أن يساعده بأخيه هارون لأنه كما قال تعالى في بيان سبب ذلك الطلب: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾ ومعنى ردءاً أي: وزيراً ومعيناً ومقوّياً لأمري يصدقني فيما أقوله، ويبين عني ما أكلمهم به فإنه أفصح مني لساناً، ويفهم عني مالا يفهمون، فالداعي المسلم لا يتردد أبداً في الاستعانة بكفاءة غيره من المسلمين وقدرته في مجال الدعوة، وسيكون مسروراً جداً إذا ما وجد مسلماً ذا قدرة وكفاءة وأمانة في أمور الدعوة مع رغبته في الإسهام في هذا المجال، وإذا ما أحس الداعي بضيق في صدره من عمل المسلم الكفء في الدعوة إلى الله، فإن إخلاصه لا بد أن يكون مشوباً بحب السمعة والرياء فليسارع إلى تنقية إخلاصه، وفسح المجال للكفء الأمين بالإسهام في جهاد الدعوة إلى الله تعالى"(١).

٨– أمْرُ الله سبحانه وتعالى لموسى أن يأخذ ما يوحى إليه بقوة :

قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾[سورة الأعراف ١٤٥].

فمن رعاية الله لموسى عليه السلام أن حثه وأمره ووجهه بأن يأخذ الكتاب والعلم الذي فيه بقوة، ولا يتوانى أو يكسل عن حفظه وفهمه وتبليغه، وتنبيهاً لموسى عليه السلام أن الأمر ليس سهلاً ولكنه مليء بالصعوبات فيجب التمسك بمنهج الله وبالعلم الذي يوحى إليه.

٩– تعليم الله لموسى وأخيه هارون أسلوب الدعوة وحفظ الله لهما:

قال تعالى: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا

(١) أصول الدعوة الدكتور عبد الكريم زيدان ١٤/٢ .

لَعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾﴾[سورة طه٤٢-٤٧].

فقد وجه الله تعالى موسى وأخاه هارون إلى الأسلوب الأمثل في الدعوة، فأمرهما بالالتجاء إلى الله، وكثرة ذكره؛ ليرتبطوا بمولاهم وناصرهم، وليحفظهم الله تعالى، فقال تعالى: ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى﴾ ونبههم الله تعالى على هذا الأمر بصورة أخرى وهي علم الخوف، لأن الله تعالى معهم يحفظهم من كل سوء، قال تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾

أما الأساليب الدعوية فتمثلت في اللين للمدعو، والتذكير مع رجاء المنفعة، وتلمس أسباب الانتفاع والتذكر، كما في قوله تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾. والربط بربوبية المرسل، ووحدانية الإله الحق، مع بيان الحجة والبرهان، وتوضيح الغاية والقصد للمدعو، كما قال تعالى:﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ ﴾. وقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّـَٔا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[سورة يونس٨٧]. فالتعبير بلفظ ﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ فيه إشارة إلى أن تكون بيوتهم محل أنظار المؤمنين يتبعوهم في كل شيء، وذلك لأن استعلاء فرعون على قوم موسى كان من القوة بمكان، فجلوس موسى عليه السلام مع قومه وتعليمهم وإقامة العبادة جماعة معهم قد يكون متعذراً، كما يدل عليه سياق الآيات، ولكن الدعوة وحركة التعليم والتوجيه وإقامة الشعائر لا تقف عند تلك المشكلة، بل التعليم والتوجيه بالقدوة هو المرحلة المتبعة إلى أن يقضي الله الأمر.

فهذا الجانب من الرعاية تأهيلٌ دعوي، حيث إنَّ الله تعالى بصرهما بأسلوب الدعوة، ليكونا على بصيرة ولا يقعا في محظور في طريقة الدعوة، وكذلك يلقي عليهما الأمن بأنه حافظ لهما ومؤيد.

١٠- تربيته سبحانه وتعليمه لموسى عليه السلام بالموقف:

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ۚ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [سورة الأعراف١٤٣].

من رعاية الله تعالى لموسى عليه السلام أن يربيه ويعلمه، وهذه التربية لها أساليب ومن تلك الأساليب أسلوب التربية العملية بالمواقف، فقد طلب موسى من ربه أن يراه، ولم يكن لموسى أن يطلبه، ولكن الله تعالى ربى موسى وقال له: ﴿لَن تَرَانِي﴾ أي: "في الدنيا ثم ضرب الله له مثالاً مما هو أقوى من بنيته وأثبت أي فإن ثبت الجبل وسكن فسوف تراني وإن لم يسكن فإنك لا تطيق رؤيتي كما أن الجبل لا يطيق رؤيتي"[1]، ثم قال: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ﴾ أي: ظهر ﴿لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ بالقصر والمد – أي: مدكوكا مستويا في الأرض ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ مغشيا عليه لهول ما رأى ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ تنزيها لك ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ من سؤالي ما لم أؤمر به ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في زماني"[2].

١١– تربيته بالرحلة في طلب العلم:

– رحل موسى عليه السلام للقاء ربه وتلقى منه:

قال تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ۚ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [سورة الأعراف: ١٤٢–١٤٣].

فالله تعالى يمتن "على بني إسرائيل، بما حصل لهم من الهداية، بتكليمه موسى، عليه السلام، وإعطائه التوراة، وفيها أحكامهم وتفاصيل شرعهم، فذكر تعالى أنه واعد موسى ثلاثين ليلة وأتمها بعشر"[3]، فكانت رحلة دعوية لأخذ التوراة التي فيها صلاح قومه.

– ورحل أيضاً مع خيار قومه:

قال تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا ۖ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٤٦/٧.

(٢) تفسير الجلالين ٢١٣ بتصرف.

(٣) تفسير القرآن العظيم٤٦٨/٣.

أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّنَّ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٥].

عن محمد بن إسحاق قال: "لما رجع موسى إلى قومه، ورأى ما هم فيه من عبادة العجل اختار موسى منهم سبعين رجلا الخيِّر فالخيِّر، وقال: انطلقوا إلى الله عز وجل، فتوبوا إليه مما صنعتم.."[1].

– ورحل موسى عليه السلام للخضر:

فقد نبه الله تعالى موسى عليه السلام إلى الرحلة للقيا الخضر ليتعلم منه أموراً لم يكن يعلمها موسى عليه السلام[2]، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾ إلى أن قال: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾ [سورة الكهف: ٦٠ –٦٦].

المبحث الثامن

رعاية الله لداود عليه الصلاة السلام

تتمثل رعاية الله سبحانه وتعالى لداود عليه السلام أن أعطاه الله تعالى فضائل كثيرة، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ﴾ [سورة سبأ: ١٠].

وهذا الفضل الذي أعطاه الله تعالى لداود هو بمثابة الرعاية له، وبيَّن الله تعالى هذا الفضل الذي تفضّل به على داود في آيات كثيرة يمكن إجماله في المجالات التالية:

أولاً: الرعاية العلمية وإيتاؤه الحكمة:

قال تعالى في نهاية قصة قتل داود عليه السلام لجالوت: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ [سورة البقرة ٢٥١].

وقال تعالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا

---

(١) الأثر: جامع البيان ٢/٨٦–٨٧ (٩٥٧)، وتاريخ الطبري ١/٢٢٠–٢٢١.

(٢) سيأتي بيان قصة موسى عليه السلام والخضر وفوائدها بالتفصيل في الفصل الثاني –المبحث الأول.

لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾[سورة الأنبياء ٧٨-٧٩].

وقال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [سورة الإسراء: ٥٥].

وقال تعالى:﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾[سورة ص: ٢٠].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾ [سورة النمل ١٥].

قال الآلوسي: "آتينا كل واحد منهما طائفة من العلم لائقة به من علم الشرائع والأحكام وغير ذلك مما يختص بكل منهما كصنعة لبوس ومنطق الطير، وخصها مقاتل: بعلم القضاء[١]، وابن عطاء: بالعلم بالله عز وجل"[٢]، وقال الماوردي: "يريد بالحكمة: النبوة. ويحتمل أن الحكمة: العدل في سيرته"[٣].

قال ابن كثير: "﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِمَّا يَشَآءُ﴾ أي: مما يشاء من العلم الذي اختص بـه ﷻ"[٤].

وقال السدي: "والذي علمه هو صنعة الدروع ومنطق الطير، وغير ذلك من أنواع ما علمه ﷻ"[٥].

وهذا العلم اختص به الله تعالى داود عن غيره من الأنبياء مناسبة لحاله، ولبيئته ولقومه، فالله تعالى يختص بعض الأنبياء ويعلمهم مالا يُعَلِّم غيرهم.

ثانياً: الرعاية التربوية:

ويتضح هذا الجانب من خلال قصة الخصمين والتعقيبات عليها:

---

(١) وانظر: تفسير مقاتل بن سليمان ص٤٧١، ومعالم التنزيل للبغوي ١٤٧/٦.

(٢) روح المعاني ١٦٩/١٩.

(٣) النكت والعيون ١٩٨/٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٤٠٦/١.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢٤٥/٣.

قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة ص: ٢١ – ٢٦].

"فقد أرسل الله سبحانه وتعالى لنبيه داود عليه السلام ملكين للامتحان، فدخلا عليه من غير باب المحراب، ففزع منهم نبي الله داود عليه السلام، لدخولهما عليه من غير الباب الذي منه المدخل، وقيل لأنهما دخلا عليه ليلاً"(١).

"فقال أحد الخصمين: نحن خصمان تعدَّى أحدنا على صاحبه بغير حق، فاقض بيننا بالعدل، ولا تَجُرْ، ولا تسرف في حكمك بالميل منك مع أحدنا على صاحبه، وأرشدنا إلى الطريق المستقيم.

ثم بدأ يذكر سبب المخاصمة فقال: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ أي انزل لي عنها وضمها إلي، ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾ أي: أي وكان أعز مني في مخاطبته إياي؛ لأنه إن تكلم فهو أبين مني، وإن بطش كان أشد مني فقهرني، فقال داود عليه السلام للخصم المتظلم: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ ثم قال: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: وإن كثير من الشركاء ليتعدى بعضهم على بعض، ثم استثنى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ أي: وقليل ما تجد ذلك الصنف من الناس(٢).

فمن هذه القصة يمكن استخراج تربية الله تعالى لنبيه داود عليه السلام في النقاط التالية:

١ – تربيته على قبول الحق والموعظة من كل أحد:

---

(١) جامع البيان ٢٠/٥٣–٥٤ مختصرا.

(٢) انظر جامع البيان ٢٠/٥٤–٧٥.

فإن الخصمين نصحا داود بقولهما: ﴿فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ فلم يشمئز ولم يغضب، ولم يثنه ذلك عن الحق.

٢- تربيته على الصبر والحلم:

فإن الصبر والحلم مع العفو على ما يفعله الناس من أمور محلة في حق الداعية، فلم يمنع داود عليه السلام سوء أدب الخصمين ودخولهما عليه من غير استئذان من أن يقضي لهم حاجتهما وهذا هو الواجب على الداعية، وكذلك ما غضب عليهما حين جاءاه بغير استئذان ولا انتهرهما ولا وبخهما.

٣- تربيته على العدل وتحمل المسؤولية:

قال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ أي: "يا داود إنا استخلفناك في الأرض من بعد من كان قبلك من رسلنا، حكماً بين أهلها فاحكم بينهم بالعدل والإنصاف، ولا تتبع الهوى وتؤثره في قضائك بينهم على العدل والحق فتجور عن الحق فتكون من الهالكين"(١).

٤- تربيته على عدم التسرع في إصدار الأحكام :

فقد عاتب الله تعالى داود عليه السلام ليس على حكمه وإنما على تسرعه في الحكم وعدم سماعه من الطرف الآخر: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾.

٥- تربيته على الاستغفار والتوبة:

قال تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾﴾، وقد مدحه الله تعالى بذلك فقال تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ [سورة ص: ١٧]. "أي:

---

(١) انظر جامع البيان ٧/٥٤-٧٧.

رجَّاع إلى الله في جميع الأمور بالإنابة إليه، بالحب والتأله، والخوف والرجاء، وكثرة التضرع والدعاء، رجاع إليه عندما يقع منه بعض الخلل، بالإقلاع والتوبة النصوح"[١].

ثالثاً: الرعاية المهارية :

وذلك بأن أعطاه الله عوامل التمكين، ومنها:

١- آتاه الله الملك:

قال تعالى: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [سورة البقرة ٢٥١]. وقال تعالى: ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [سورة الأنبياء ٧٩].

وقوله تعالى: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ﴾ [سورة ص: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سورة ص: ٢٠].

قال الماوردي: "يريد بالملك السلطان وكان ذلك عند موت طالوت بعد سبع سنين من قتل جالوت على ما حكاه ابن السائب"[٢]. "أي: منَّ عليه بتملكه على بني إسرائيل"[٣].

وهذا الملك كذلك من التمكين في الأرض الذي يجعله يسخر هذا التمكين في رعاية طلاب العلم .

٢- سخر الله تعالى لداود الجبال والطير والحديد:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [سورة سبأ: ١٠ – ١١].

وقال تعالى: ﴿ اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة ص: ١٧–١٨].

وقال تعالى: ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [سورة الأنبياء ٧٩].

وهذا التسخير إعانة له على الدعوة إلى الله وطلب العلم فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٧١١.

(٢) النكت والعيون ١/ ٣٢٠.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص ١٠٨.

يستغلون كل الفرص المتاحة في خدمة رسالتهم التي بعثهم الله بها.

٣- علَّم الله داود عليه السلام صناعة الدروع:

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾"الضمير في قوله ﴿وَعَلَّمْنَاهُ﴾ راجع إلى داود، والمراد بصنعة اللبوس: صنعة الدروع ونسجها. والدليل على أن المراد باللبوس في الآية الدروع: أنه أتبعه بقوله ﴿لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ أي: لتحرز وتقي بعضكم من بأس بعض، لأن الدرع تقيه ضرر الضرب بالسيف، والرمي بالرمح والسهم، كما هو معروف. وقد أوضح هذا المعنى بقوله: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾[سورة سبأ: ١٠ –١١] فقوله ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾أي: أن اصنع دروعاً سابغات من الحديد الذي ألناه لك."[١]. فـ"المراد بها الدروع ونحوها، مما يقي لابسه وقع السلاح، ويسلمه من بأسه. وقد بين الله أيضاً هذه النعمة الكبرى، واستحقاق من أنعم بها لأن يشكر له في هذا الموضع"[٢].

٤- علم الله تعالى داود عليه السلام أن يأكل من عمل يده:

قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ۝٨٠﴾ [سورة الأنبياء٨٠] استشهد القرطبي بهذه الآية على أنّ "أكل الرجل من عمل يده، قال ﷺ: (إن أطيب ما أكل الرجل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده)[٣]. وفي ذلك فضل هذه الصنعة إذ أسند تعليمها إياه إليه تعالى"[٤] ."قال قتادة: إنما كانت الدروع قبله صفائح، وهو أول من

---

(١) أضواء البيان ٤/٢٣٢-٢٣٣ .

(٢) المصدر السابق ٢/٤٢٠ بتصرف يسير.

(٣) صحيح البخاري كتاب البيوع باب كسب الرجل من عمل يده (٢٠٧٠).

(٤) البحر المحيط ٨/١٧٩.

سردها حلقا كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾[سورة سبأ١٠-١١]. أي: لا توسع الحلقة فتقلق المسمار ولا تغلظ المسمار فتقد الحلقة"(١).

٥- علمه الله سبحانه مهارة القضاء والإصلاح بين الناس:

قال تعالى:﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾[سورة ص: ٢٠].

قال ابن كثير: "قال مجاهد والسدي: هو إصابة القضاء وفهمه، وقال مجاهد أيضا: هو الفصل في الكلام وفي الحكم"(٢)، وقال السعدي: "أي: الخصومات بين الناس"(٣).

رابعاً: الرعاية الأسرية :

رزقه الله تعالى بأبناء كُثُرْ ومن أخيرهم سليمان عليه السلام فقد اصطفاه الله تعالى بالنبوة قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة ص: ٣٠].

قال ابن كثير: "أي: في النبوة وإلا فقد كان له بنون غيره، فإنه قد كان عنده مائة امرأة حرائر، وقوله: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ ثناء على سليمان، عليه السلام، بأنه كثير الطاعة والعبادة والإنابة إلى الله عز وجل"(٤)، وقال السعدي: "أي: أنعمنا به عليه، وأقررنا به عينه"(٥).

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/٢٥٠.

(٢) المصدر السابق ٧/ ٥٩

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص ٧١١.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٧/٦٤.

(٥) تيسير الكريم الرحمن ص ٧١٢.

المبحث التاسع

رعاية الله لسليمان عليه الصلاة والسلام

أولاً: الرعاية العلمية:

١) تعليم الله تعالى لسليمان عليه السلام:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة النمل: ١٥-١٦].

٢) تفضيل الله تعالى سليمان عليه السلام بالعلم والفهم:

قال تعالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [سورة الأنبياء ٧٨-٧٩].

قوله تعالى: ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ﴾ قال القرطبي: "في الآية تفضيله له على داود، وفضيلته راجعة إلى داود والوالد تسره زيادة ولده عليه[١]. فلقد أوتي داود وسليمان كلاهما الحكمة والعلم، فليس في قضاء داود من خطأ، ولكن قضاء سليمان كان أصوب، لأنه من الإلهام الإلهي، قال الحسن: "كان الحكم بما قضى سليمان ولم يعنف الله تعالى داود في حكمه"[٢].

ثانياً: التربية الإيمانية:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١١/٣٨.

(٢) جامع البيان ١٦/٣٢٨، ابن كثير مطولاً ٥/٣٥٦، الدر المنثور ٤/٣٢٥ .

١– تربيته على التواضع شكراً لله تعالى: قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [سورة النمل: ١٨-١٩]. أي: ألهمني أن أشكر نعمتك التي منت بها علي، من تعليمي منطق الطير والحيوان، وعلى والدي بالإسلام لك، والإيمان بك، ﴿وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ﴾ أي: عملا تحبه وترضاه، ﴿وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ أي: إذا توفيتني فألحقني بالصالحين من عبادك، والرفيق الأعلى من أوليائك"[1].

٢– تربيته على التوبة والإنابة لله تعالى: قال تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ [سورة ص ٣٠-٣٥].

٣– التواضع للعلم ولمن هو أعلم: قال تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة النمل: ٢٢].

٤– تربيته على القناعة بما رزقه الله: قال تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۡ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُمۡ بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة النمل: ٣٥-٣٧].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١٨٣/٦.

٥- تربيته على احتقار النفس ونسب الفضل لله والشكر له: قال تعالى: ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة النمل: ٣٨-٤٠].

٦- تربيته على التثبت من الأخبار: قال تعالى: ﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة النمل: ٢٧-٢٨].

ثالثاً: الرعاية المهارية:

وذلك بأن أعطاه الله عوامل التمكين، ومنها:

١) آتاه الله تعالى الملك: قال تعالى: ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ ﴾ [سورة الأنبياء٧٩].

٢) تربيته على الإتقان في العمل ومتابعته الرعية بنفسه: قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[سورة النمل: ٢٠].

٣) رعاية التسخير والنصرة والتأييد: سخر الله تعالى لسليمان عليه السلم كل شيء من الجن والإنس والطير والريح :

■ قال تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [سورة الأنبياء: ٨١-٨٢].

■ وقال تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة سبأ: ١٢-١٣].

■ وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِيَ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة ص: ٣٥-٤٠].

■ وقال تعالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة النمل ١٧].

قال ابن سعدي: "لما ذكر فضله على داود عليه السلام، ذكر فضله على ابنه سليمان، عليه الصلاة والسلام، وأن الله سخر له الريح تجري بأمره، وتحمله، وتحمل جميع ما معه، وتقطع المسافة البعيدة جدا، في مدة يسيرة، فتسير في اليوم، مسيرة شهرين. ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ ﴾ أي: أول النهار إلى الزوال ﴿ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ من الزوال، إلى آخر النهار ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ﴾ أي: سخرنا له عين النحاس، وسهلنا له الأسباب، في استخراج ما يستخرج منها من الأواني وغيرها.

وسخر الله لسليمان، الشياطين والجن، لا يقدرون أن يستعصوا عن أمره، ﴿ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ وأعمالهم كل ما شاء سليمان، عملوه ﴿ مِن مَّحَارِيبَ ﴾ وهو كل بناء يعقد، وتحكم به الأبنية، فهذا فيه ذكر الأبنية الفخمة، ﴿ وَتَمَاثِيلَ ﴾ أي: صور الحيوانات والجمادات، من إتقان صنعتهم،وقدرتهم على ذلك وعملهم لسليمان ﴿ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ ﴾ أي:

كالبرك الكبار، يعملونها لسليمان للطعام، لأنه يحتاج إلى ما لا يحتاج إليه غيره، ويعملون له قدورا راسيات لا تزول عن أماكنها، من عظمها"[1].

رابعاً: الرعاية الدعوية:

١- تعليمه الدعوة إلى التوحيد: قال تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة النمل: ٢٣-٢٦].

فهذا الموقف يدل على عناية سليمان عليه السلام بالتوحيد وغرسه في قلوب رعيته ومسارعتهم في تغير أي مظهر من مظاهر الشرك.

٢- حرصه على الدعوة إلى الله: قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة النمل: ٢٩-٣١]. فبمجرد وصول خبر البلدة التي تشرك بالله تعالى أرسل إليهم مباشرة من يدعوهم على الله تعالى.

٣- تعليمه مهارة الإقناع الدعوي وإقامة الحجة: قال تعالى: ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٦٧٦.

لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [سورة النمل: ٤١-٤٤].

المبحث العاشر

رعاية الله لأيوب عليه السلام

قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ [سورة ص: ٤١-٤٤].

وقال تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [سورة الأنبياء٨٣-٨٤].

ومعنى الآيات: "واذكر عبدنا ورسولنا، أيوب – مثنيا معظما له، رافعاً لقدره – حين ابتلاه، ببلاء شديد، فوجده صابراً راضياً عنه، وذلك أن الشيطان سلط على جسده، ابتلاء من الله، وامتحاناً ففخ في جسده، فقرح قروحاً عظيمة ومكث مدة طويلة، واشتد به البلاء، ومات أهله، وذهب ماله، فنادى ربه: رب ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ فتوسل إلى الله بالإخبار عن حال نفسه، وأنه بلغ الضر منه كل مبلغ، وبرحمة ربه الواسعة العامة فاستجاب الله له، وقال له: ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ [سورة ص٤٢]. فركض برجله فخرجت من ركضته عين ماء باردة فاغتسل منها وشرب، فأذهب الله عنه ما به من الأذى، ﴿ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ ﴾ أي: رددنا عليه أهله وماله. ﴿ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴾ بأن منحه الله العافية من الأهل والمال شيئا كثيرا، ﴿ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾ به، حيث صبر ورضي، فأثابه الله ثوابا عاجلا قبل ثواب الآخرة.

﴿ وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ أي: جعلناه عبرة للعابدين، الذين ينتفعون بالعبر، فإذا رأوا مـــا

أصابه من البلاء، ثم ما أثابه الله بعد زواله، ونظروا السبب، وجدوه الصبر"[1].

فكانت رعاية الله سبحانه وتعالى لأيوب عليه السلام متمثلة في:

أولاً: الرعاية التربوية: وتمثلت في:

١- تربيته على اللجوء لله تعالى: قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾. "أي: وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ بأحسن الذكر، وأثنى عليه بأحسن الثناء، حين أصابه الضر، فصبر على ضره، فلم يشتك لغير ربه، ولا لجأ إلا إليه، فَنَادَى رَبَّهُ داعيا، وإليه لا إلى غيره شاكيا.

وقال تعالى عنه في ختام الآيات: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ "أي: كثير الرجوع إلى الله، في مطالبه الدينية والدنيوية، كثير الذكر لربه والدعاء، والمحبة والتأله"[2].

٢- تربيته على حسن الأدب في الدعاء: قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣].

قال السعدي: "فتوسل إلى الله بالإخبار عن حال نفسه، وأنه بلغ الضر منه كل مبلغ، وبرحمة ربه الواسعة العامة"[3].

وأيوب هنا في دعائه لا يزيد على وصف حاله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ ووصف ربه بصفته: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾. ثم لا يدعو بتغيير حاله، صبراً على بلائه، ولا يقترح شيئاً على

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٥٢٨.

(٢) المصدر السابق ص٧١٤ بتصرف واختصار.

(٣) المصدر السابق ص٧١٤.

ربه، تأدباً معه وتوقيراً، بل إنه ليتحرج أن يطلب إلى ربه رفع البلاء عنه، فيدع الأمر كله إليه، اطمئناناً إلى علمه بالحال وغناه عن السؤال.

٣- تربيته على الصبر على البلاء: قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ﴾ قال ابن كثير: "يذكر تعالى عن أيوب، عليه السلام، ما كان أصابه من البلاء، في ماله وولده وجسده، وذلك أنه كان له من الدواب والأنعام والحرث شيء كثير، وأولاد كثيرة، ومنازل مرضية. فابتلي في ذلك كله، وذهب عن آخره، ثم ابتلي في جسده .. وقد كان نبي الله أيوب، عليه السلام، غاية في الصبر، ففرج الله عنه، وعَظَّمَ له الأجر، وأحسن عليه الثناء"(١).

٤- تربيته على التوبة والرجوع إلى الله: قال تعالى: ﴿نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ أي: رَجَّاع منيب(٢).

ثانياً: الرعاية الصحية:

١) شفاءه من بعد مرضه: وجعل سبب ذلك دعائه وإنابته لربه، قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ﴾[الأنبياء: ٨٤].

٢) دعوته للسعي لعلاج نفسه: وبين له الطرق لذلك، قال تعالى: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾. "أي: اضرب الأرض بها، لينبع لك منها عينٌ تغتسل منها وتشرب، فينهب عنك الضر والأذى، ففعل ذلك، فذهب عنه الضر، وشفاه الله تعالى.

ثالثاً: الرعاية الأسرية:

---

(١) تفسير القرآن العظيم٥/٣٥٩ باختصار.

(٢) المصدر السابق ٧/ ٧٦.

١) تعويض الله له: قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: ٨٤] "قال الحسن وقتادة: أحياهم الله تعالى له بأعيانهم وزادهم مثلهم معهم"(١).

٢) إصلاح الله بينه وبين زوجته: قال تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾.

قال ابن كثير: "وذلك أن أيوب عليه السلام كان قد غضب على زوجته ووجد عليها في أمر فعلته. قيل: إنها باعت ضفيرتها بخبز فأطعمته إياه فلامها على ذلك وحلف إن شفاه الله ليضربنها مائة جلدة. وقيل: لغير ذلك من الأسباب. فلما شفاه الله وعافاه ما كان جزاؤها مع هذه الخدمة التامة والرحمة والشفقة والإحسان أن تقابل بالضرب فأفتاه الله عز وجل أن يأخذ ضغثًا – وهو: الشِّمراخ – فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة وقد بَرّت يمينه وخرج من حنثه ووفى بنذره وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله وأناب إليه ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾"(٢)، فأصلح الله له زوجته، وأصلح ما بينه وبينها من المغاضبة وأسبابها.

المبحث الحادي عشر

رعاية الله ليحيى وأبيه زكريا عليهما الصلاة والسلام

قال تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ

(١) تفسير القرآن العظيم٧/ ٧٥.

(٢) المصدر السابق ٧/ ٧٦.

أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ ﴾ [سورة مريم ٧-١٥].

وتتمثل رعاية الله تعالى لزكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام من خلال الآيات في الأمور التالية:

أولاً: الرعاية العلمية:

أمر الله تعالى يحيى من صغره أن يحرص ويجتهد في طلب العلم وأن يأخذه بقوة. قال ابن سعدي: "أمره الله أن يأخذ الكتاب بقوة، أي: بجد واجتهاد، وذلك بالاجتهاد في حفظ ألفاظه، وفهم معانيه، والعمل بأوامره ونواهيه، هذا تمام أخذ الكتاب بقوة، فامتثل أمر ربه"[(١)].

ثانياً: الرعاية الأسرية:

١- إصلاح زوجه: "بعدما كانت عاقر لا يصلح رحمها للولادة، فأصلح الله رحمها للحمل لأجل نبيه زكريا"[(٢)] وأصلحها كذلك بأن جعلها امرأة عابدة لله ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [سورة الأنبياء: ٩٠].

٢- إشباع رغبة الأبوة:

فاستجاب الله لزكريا عليه السلام دعاءه، ورزقه بالولد الصالح الذي يرث دعوته وعلمه. ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ ﴾.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٤٩٠.

(٢) المصدر السابق ص٥٣٠.

٣- جعل الله يحيى باراً بوالديه:

رزق الله تعالى زكريا بيحيى غلاما باراً بوالديه، قال تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾[سورة مريم: ١٤].

٤- إصلاح ابنه يحيى وجعله نبياً:

أن أصلح الله له ولده وجعله نبياً يرث الدعوة ويساعد أباه في نشرها، قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾[سورة آل عمران٣٩].

ثالثاً: الرعاية التربوية:

١) تعريفه قدرة الله وخرق العادة: فظهر أثر تربية زكريا عليه السلام على أن الله على كل شيء قدير، وأنه سبحانه لا يعجزه شيء، فأكرمه بما خرق به العادة أن وهب له الولد رغم كبره وعقم زوجته.

٢) جعله من الصالحين: فمن رعاية الله لزكريا أن الله أنعم عليه وجعله من الصالحين، قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة الأنعام ٨٥]. ومن ذلك أن جعله من الأتقياء: ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ موصولاً بالله، متقياً له، مراقباً له، يخشاه ويستشعر رقابته عليه في سره ونجواه. ذلك هو الزاد الذي آتاه الله يحيى في صباه، ليخلف أباه كما توجه إلى ربه وناداه نداء خفيا. فاستجاب له ربه ووهب له غلاماً زكياً. وجعله من الأخفياء المتواضعين: ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ رباه الله تعالى "فلم يكن متجبراً متكبراً عن عبادة الله، ولا مترفعا على عباد الله، ولا على والديه، بل كان متواضعا، متذللا مطيعا، أوابا لله على الدوام، فجمع بين القيام بحق الله، وحق خلقه"(١).

٣) جعله من الحكماء: "آتى الله يحي الحكمة صبياً:﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾﴾: فآتاه الطهارة والعفة ونظافة القلب والطبع؛ يواجه بها أدران القلوب

(١) تيسير الكريم الرحمن ٤٩١.

ودنس النفوس، فيطهرها ويزكيها. ﴿وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾﴾: موصولاً بالله، مراقباً له، يخشاه ويستشعر رقابته عليه في سره ونجواه. ذلك هو الزاد الذي آتاه الله يحيى في صباه، ليخلف أباه.

فكان فذاً في زاده، كما كان فذا في اسمه وفي ميلاده. فالحكمة عادة تأتي متأخرة –لأنها تتقدمها الخبرات والتجارب –، ولكن يحيى قد زود بها صبياً"(١).

٤) رزقه الحنان: وآتاه الحنان هبة لدنّية لا يتكلفه ولا يتعلمه؛ إنما هو مطبوع عليه ومطبوع به. والحنان صفة ضرورية للنبي المكلف برعاية القلوب والنفوس، وتأليفها واجتذابها إلى الخير في رفق.

٥) رزقه الطهارة والعفة: وآتاه الطهارة والعفة ونظافة القلب والطبع؛ يواجه بها أدران القلوب ودنس النفوس، فيطهرها ويزكيها. "فطهر قلبه وتزكى عقله، وذلك يتضمن زوال الأوصاف المذمومة، والأخلاق الرديئة، وزيادة الأخلاق الحسنة، والأوصاف المحمودة"(٢).

٦) رزقه السلامة والإسلام: فحصلت "له السلامة من الله، في جميع أحواله، مبادئها وعواقبها، قال تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ وذلك يقتضي سلامته من الشيطان، والشر، والعقاب في هذه الأحوال الثلاثة وما بينها، وأنه سالم من النار والأهوال، وأنه من أهل دار السلام، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى والده وعلى سائر المرسلين، وجعلنا من أتباعهم، إنه جواد كريم"(٣).

رابعاً: الرعاية الدعوية :

المتمثلة في رحمة الله سبحانه بزكريا واستجابة دعائه، قال تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾﴾ [سورة مريم ٢-٣] حيث قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾

(١) في ظلال القرآن ٤/٢٣٠٤ بتصرف.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص٤٩٠.

(٣) المصدر السابق ص٤٩١.

فاستجاب الله دعاءه، قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ ﴾.

فقد كانت نفسه تشتاق، لأنه "خاف أن لا يقوم أحد بعده مقامه في الدعوة إلى الله والنصح لعباد الله، وأن يكون في وقته فرداً ولا يخلف من يشفعه ويعينه"(١).

المبحث الثاني عشر

رعاية الله لعيسى عليه الصلاة والسلام ولأمه

تتمثل رعاية الله تعالى لعيسى عليه السلام في الأمور التالية :

أولاً: الرعاية العلمية من الله تعالى لعيسى عليه السلام:

قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾[سورة آل عمران ٤٨].

قال تعالى: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ﴾ [سورة المائدة: ١١٠]. فكان تعليم الله تعالى لعيسى عليه السلام الكتاب، والحكمة، والتوراة، والإنجيل. قال ابن كثير: "يقول تعالى مخبرا عن تمام بشارة الملائكة لمريم بابنها عيسى، عليه السلام–أن الله يعلمه ﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ الظاهر أن المراد بالكتاب هاهنا الكتابة. ﴿وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ فالتوراة: هو الكتاب الذي أنزله الله على موسى بن عمران. والإنجيل: الذي أنزله الله على عيسى عليهما السلام، وقد كان عيسى عليه السلام، يحفظ هذا وهذا"(٢).

والكتاب: هنا مصدر، أي: يعلمه الخط باليد. وتعليمه إياها قيل: بالإلهام. وقيل: بالوحي. وقيل: بالتوفيق والهداية للتعلم.

والحكمة: فسرت هنا: بسنن الأنبياء، وبما شرعه من الدين، وبالنبوة، وبالصواب في القول والعمل وبالعقل، وبأنواع العلم. وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يستظهر التوراة.

---

(١) المصدر السابق ص٥٣٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم٢/٤٤.

وذِكْرُ الإنجيل لمريم؛ وهو لم ينزل بعد– لأنه كان كتاباً مذكوراً عند الأنبياء والعلماء، وأنه سينزل[١].

ثانياً: الرعاية التربوية:

لقد نشأ عيسى عليه الصلاة والسلام على الأخلاق الفاضلة فزكاه ربه قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾ [سورة مريم: ١٩]. "ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن ذلك الروح الذي هو جبريل قال لها إنه رسول ربها ليهب لها؛ أي: ليعطيها. ﴿غُلَامًا﴾ أي: ولداً، ﴿زَكِيًّا﴾ أي: طاهراً من الذنوب والمعاصي، كثير البركات. وبَيَّنَ في غير هذا الموضع كثيراً من صفات هذا الغلام الموهوب لها، وهو عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام"[٢].

ومن تلك الصفات التي رباه الله عليها وزكّاه بها:

١– تربيته على الصلاة والزكاة: قال تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ [سورة مريم ٣١].

٢– تربيته على بره بأمه: قال تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾ [سورة مريم ٣٢].

٣– التربية على التواضع: قال تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾ [سورة مريم ٣٢].

٤– التربية على الدعاء والالتجاء لله تعالى والأدب في ذلك: قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا

(١) انظر: المحرر الوجيز ٤٣٨/١، والبحر المحيط٢/ ٣٥١– ٣٥٢ بتصرف.

(٢) أضواء البيان ٣٨٦/٣.

وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [سورة المائدة: ١١٠–١١٤].

٥- التربية على حسن التخاطب مع الله: قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [سورة المائدة: ١١٦ –١١٨].

٦- التربية على نسب الفضل لله: قال تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [سورة آل عمران: ٤٩].

٧- تربيته على الجدية والإيجابية: وذلك باتخاذ الأسباب لحصول المراد مهما كان شاقاً، وعدم التواكل، وذلك قول الله تعالى لأمه عند ولادته: ﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ ﴾ [سورة مريم ٢٥]. فجذع النخلة قاسٍ، وهزّه صعبٌ، وهي في حالة تعب الولادة، ولكن يأمرها الله بذلك لكي ينسيها الألم الذي أصابها، ولكي تتعلم فعل الأسباب، وفي هذا تربية لها، وتربية لابنها بالتبع على اتخاذ الأسباب.

ثالثاً: الرعاية النفسية من الله تعالى لعيسى عليه السلام:

لقد طمأن الله تعالى نفس عيسى عليه السلام بما يجعله هادئ النفس قوي الحجة قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ ۘ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۖ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ ﴾ [المائدة: ١١٧].

وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [سورة آل عمران: ٥٥]. وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾ [سورة مريم ٣١].

رابعاً: الرعاية الأسرية من الله تعالى لعيسى عليه السلام:

وتبرز هذه العناية في رعاية الله تعالى لوالدته وتثبيتها وتبرئتها ورزقها قال تعالى: ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ۖ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[سورة مريم ٢٢-٣٤].

فمن رعاية الله تعالى لعيسى عليه السلام أن أهله للرسالة والدعوة بهذه الأمور، وهي من أشد الحاجات لدى الداعي بل لدى كل إنسان، فكيف سيدعو إذا لم يكن عنده علم، وكيف سيؤثر في الناس إذا لم يُربى التربية الصحيحة التي يعطي بها كل إنسان حقه، وكيف سيقبل منه الناس إذا اشتهرت أسرته بما يشين ويعاب عليه. لكن الله بحكمته وبعدله ورعايته، كفل هذه الأمور لنبيه عيسى عليه السلام، ليُعِدَّهُ لأن يكون نبياً مؤثراً مقبولاً بين الناس.

الفصل الثاني

رعاية الله لأتباع الأنبياء والرسل في طلب العلم وتعليمه

المبحث الأول

قصة موسى عليه السلام والخضر

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن

﴿رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [سورة الكهف ٦٠-٨٢].

المطلب الأول: معنى الآيات إجمالاً.

"يخبر تعالى عن نبيه موسى عليه السلام وشدة رغبته في الخير وطلب العلم أنه قال لخادمه الـــذي يلازمه في حضره وسفره: لا أزال مسافراً وإن طالت علي الشقة ولحقتني المشقة حتى أصل إلى المكان الذي أوحى الله إلي أني سأجد عنده عبداً من عباد الله العالمين عنده من العلم ما ليس عندي.

وكان معهما حوت يتزودان منه ويأكلان، وقد وعد أنه متى فقد الحوت فثم ذلك العبد الـــذي قصدته، فاتخذ ذلك الحوت طريقه في البحر سربا وهذا من الآيات، قال المفسرون إن ذلك الحـــوت الذي كانا يتزودان منه، لما وصلا إلى ذلك المكان، أصابه بلل البحر، فانسرب بإذن الله في البحر، وصار مع حيواناته حيا، فلما جاوز موسى وفتاه مجمع البحرين، قال موسى لفتاه لقد تعبنا من هذا السفر.

وكان عند موسى وعد من الله أنه إذا فقد الحوت، وجد الخضر فرجعا يقصان أثرهما إلى المكان الذي نسيا فيه الحوت فلما وصلا إليه، وجدا عبداً من عباد الله، وهو الخضر، وكان عبداً صالحاً، لا نبيا على الصحيح، أعطاه الله رحمة خاصة به زاد علمه وحسن عمله، فلما اجتمع به موسى قال له على وجه الأدب والمشاورة: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمك الله، به أسترشد وأهتدي، فقال الخضر لموسى: لا أمتنع من ذلك، ولكنك لا تقدر على اتباعي وملازمتي، لأنك ترى ما لا تقـــدر على الصبر عليه من الأمور التي ظاهرها المنكر، وباطنها غير ذلك.

فقال موسى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ وهذا عزم منه، قبل أن يوجد الشيء الممتحن به، والعزم شيء، ووجود الصبر شيء آخر، فحينئذ قال له الخضر: لا تبتدئني بسؤال منك وإنكار، حتى أكون أنا الذي أخبرك بحاله، في الوقت الذي ينبغي إخبارك به، فنهاه عـــن ســـؤاله، ووعده أن يوقفه على حقيقة الأمر.

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ اقتلع الخضر منها لوحاً، وكان له مقصود في ذلك، سيبينه، فلم يصبر موسى عليه السلام، لأن ظاهره أنه منكر، قال موسى: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ عظيماً شنيعاً، فقال له الخضر: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ أي: فوقع كما أخبرتـــك، وكان هذا من موسى عليه السلام نسياناً فقال: لا تعسر علي الأمر، واسمح لي، فإن ذلك وقع على

وجه النسيان، فلا تؤاخذني في أول مرة. فجمع بين الإقرار به والعذر منه، وأنه ما ينبغي لك أيها الخضر الشدة على صاحبك، فسمح عنه الخضر.

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾ الخضر، فاشتد بموسى الغضب، وأخذته الحمية، حين قتل غلاماً صغيراً لم يذنب. ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ وأي: نكر مثل قتل الصغير، الذي ليس عليه ذنب. فقال له الخضر معاتبا ومذكراً: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ فقال موسى: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ فأنت معذور بذلك، وبترك صحبتي ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ أي: أعذرت مني، ولم تقصر، فكان هذا من موسى عليه السلام شرطاً.

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ استضافاهم، فلم يضيفوهما ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا﴾ قد عاب واستهدم ﴿فَأَقَامَهُ﴾ الخضر أي: بناه وأعاده جديداً. فقال له موسى: ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أي: أهل هذه القرية، لم يضيفونا مع وجوب ذلك عليهم، وأنت تبنيه من دون أجرة ؟ فكان الأولى بك أن لا تبنيه لهم إلا بمقابل لحاجتك وعدم إحسانهم إليك .

فحينئذ لم يف موسى عليه السلام بما شرط على نفسه، واستعذر الخضر منه، فقال له: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ فإنك شرطت ذلك على نفسك، فلم يبق الآن عذر، ولا موضع للصحبة، ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ أي: سأخبرك بما أنكرت عليَّ، وأنبئك بما لي في ذلك من المآرب، وما يؤول إليه الأمر:

١– ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ ويقتضي ذلك الرقة عليهم، والرأفة بهم. ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ فكان مرورهم على ذلك الملك الظالم، وكل سفينة صالحة تمر عليه ما فيها عيب غصبها وأخذها ظلما، فأردت أن أخرقها ليكون فيها عيب، فتسلم من ذلك الظالم.

٢– ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ وكان ذلك الغلام قد قُدِّر عليه أنه لو بَلَغَ لحمل أبويه على الطغيان والكفر، فقتلته لاطلاعي على ذلك، سلامة لدين أبويه المؤمنين، وأي فائدة أعظم من هذه الفائدة الجليلة؟ وهو وإن كان فيه إساءة إليهما، وقطع لذريتهما في الظاهر، فإن الله تعالى سيعطيهما من الذرية، ما هو خير منه، وكل ذلك علم غيبي أطلع الله عليه الخضر لم يعلمه موسى عليه السلام .

٣- ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ فحالهما تقتضي الرأفة بهما ورحمتهما، لكونهما صغيرين عُدِما أباهما، وحفظهما الله بصلاح والدهما، وهذا ما دعاني إلى الإشفاق عليهما والرعاية لمالهما بالسعي في حفظه عن الضياع. ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا ﴾ فلهذا هدمت الجدار، واستخرجت ما تحته من كنزهما، وأعدته مجاناً.

﴿ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾ كل هذا الذي فعلته رحمة من الله، آتاها الله عبده الخضر ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ أي:ما أتيت شيئا من قبل نفسي، وإنما ذلك من رحمة الله وأمره"[1].

فأسند الأمر والقدر لله وحده، ونفى أن يكون هو الذي قدّره ولكنه رضي بالله رباً، فنفذ ما أمره الله به عن علم ويقين لا عن ظن وتخرُّص وتوقعات عقلية، ولما كانت هذه الأمور غيبية لم يطلع موسى عليها وظاهرها الفساد والخراب أنكرها موسى عليه السلام، ولم يصبر عليها، فرحمة الله على موسى عليه السلام إذ كان ممتثلاً لأمر ربه، ورحمة الله على الخضر ﷺ إذ كان ممتثلاً لأمر ربه.

المطلب الثاني: الفوائد المستنبطة من القصة.

١- دعاء موسى الله تعالى التيسير في الوصول للعلم:

فموسى عليه السلام دعا الله لكي ييسر له السبيل إلى العلم ويهديه الطريق إليه، وأخذه ورحل من أجل ذلك.

فعن أبي بن كعب ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يذكر شأنه يقول: (بينما موسى في ملأ من بني إسرائيل، إذ جاءه رجل فقال أتعلم أحدا أعلم منك قال موسى لا . فأوحى الله عز وجل إلى موسى بلى، عبدنا خضر، فسأل السبيل إلى لقيه، فجعل الله له الحوت آية، وقيل له إذا فقدت الحوت فارجع، فإنك ستلقاه، فكان موسى –صلى الله عليه وسلم– يتبع أثر الحوت في البحر. فقال فتى موسى لموسى أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٤٨١-٤٨٣ باختصار وتصرف .

قال موسى ذلك ما كنا نبغي . فارتدا على آثارهما قصصا، فوجدا خضرا، فكان من شأنهما ما قص الله في كتابه)[1].

٢– فضيلة العلم، والرحلة في طلبه وأنه أهم الأمور:

"فإن موسى عليه السلام رحل مسافة طويلة، ولقي النصب في طلبه، وترك القعود عند بني إسرائيل، لتعليمهم وإرشادهم، واختار السفر لزيادة العلم على ذلك، قال ابن حجر رحمه الله عند ذكر هذا الحديث: "وفي الحديث جواز ركوب البحر في طلب العلم بل في طلب الاستكثار منه"[2].

لقد عَلَّم الله تعالى موسى عليه السلام علماً وعَلَّم الخضر علماً، فرحل موسى إلى الخضر ليتعلم منه عندما عَلِم موسى عليه السلام أن عند الخضر علماً لا يعلمه، فموسى لم يتكبر أن يتعلم من الخضر الذي هو أقل منه منزلة، والخضر لم يرفض طلب موسى بل بَيَّن له مخاطر الطلب والمنهجية التي لا بد أن يسير عليها في طلبه لذلك العلم منه.

٣– "أخذ الخادم في الحضر والسفر لكفاية المؤن، وطلب الراحة:

كما فعل موسى عليه السلام"[3] فطالب العلم يحتاج إلى من يخدمه ويكفل له المؤنة لكي يتفرغ للطلب، وليستفيد من قُوَّته ووقته في الطلب.

٤– تحمل المشاق في الرحلة لطلب العلم :

قال ابن حجر عند شرحه لهذا الباب: "هذا الباب معقود للترغيب في احتمال المشقة في طلب العلم، لأن ما يغتبط به تتحمل المشقة فيه"[4].

---

(١) صحيح البخاري كتاب العلم باب الخروج في طلب العلم (٧٨)، ومسلم كتاب الفضائل باب فضائل الخضر (٢٨٣٠).

(٢) فتح الباري ١/ ٢٠٤ باختصار.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ٤٨٣.

(٤) فتح الباري ١/٢٠٢.

٥– أن يضع الطالب لنفسه هدفاً من رحلته ويجد في طلبه:

الذي يظهر – والله أعلم– أن هدف موسى من رحلته هذه هو ما أوضح عنه بعد لقياه الخضر بقوله: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ فطلب العلم الذي هو من تعليم الله له وأن يكون مما ينفعه ويرشده للصراط المستقيم .

فإنه كان لموسى عليه السلام هدف من رحلته هذه التي اعتزمها، وأنه كان يقصد من ورائها أمراً، فهو يعلن تصميمه على بلوغ مجمع البحرين مهما تكن المشقة، ومهما يكن الزمن الذي ينفقه في الوصول. وهو يعبر عن هذا التصميم بما ذكره القرآن من قوله: ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ والحقب قيل عام، وقيل ثمانون عاماً. وعلى أية حال فهو تعبير عن التصميم، لا عن المدة على وجه التحديد.

٦– الأدب في الحديث مع العلماء:

فإن موسى عليه السلام قال: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ فأخرج الكلام بصورة الملاطفة والمشاورة، وأنك هل تأذن لي في ذلك أم لا؟ وإقراره بأنه يتعلم منه، بخلاف ما عليه أهل الجفاء والكبر، الذين لا يظهرون للمعلم افتقارهم إلى علمه، بل يدعي أحدهم أنه يتعاون هم وإياه، بل ربما ظن أنه يُعَلِّم معلمه، وهو جاهل، فالتواضع للمعلم، وإظهار الحاجة إلى تعليمه، من أنفع شيء للمتعلم"[1].

٧– إضافة العلم وسائر الفضائل لله تعالى والإقرار بذلك، وشكر الله:

وذلك في قوله: ﴿تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف:٦٦]، أي مما علّمك الله تعالى.

٨– تواضع الفاضل للتعلم ممن دونه:

فإن موسى عليه الصلاة والسلام –بلا شك– أفضل من الخضر رضي الله عنه، قال ابن حجر: "ولأن موسى عليه الصلاة والسلام لم يمنعه بلوغه من السيادة المحل الأعلى من طلب العلم وركوب البحر لأجله.." إلى أن قال: "وفي الحديث لزوم التواضع في كل حال، ولهذا حرص

(١) تيسير الكريم الرحمن٤٨٤.

موسى على الالتقاء بالخضر، وطلب التعلم منه تعليماً لقومه أن يتأدبوا بأدبه، وتنبيهاً لمن زكى نفسه أن يسلك مسلك التواضع"[1].

٩- حرص طالب العلم والمعلم على الاهتمام بالعلم النافع تعليماً وتعلماً:

وهو العلم المرشد إلى الخير، فكل علم يكون فيه رشد وهداية لطرق الخير، وتحذير عن طريق الشر، أو وسيلة لذلك، فإنه من العلم النافع، وما سوى ذلك، فإمّا أن يكون ضاراً، أو ليس فيه فائدة لقوله: ﴿أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾"[2] وهو مضيعة للوقت والجهد.

١٠- توضيح العلماء لطلابهم صعوبة الصبر على العلم وصعوبة تلقي العلم:

﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ۝﴾ فعلم الخضر ليس هو العلم البشري الواضح الأسباب القريب النتائج، ومن ثم فلا طاقة لموسى بالصبر على الخضر وتصرفاته، لأن هذه التصرفات حسب ظاهرها قد تصطدم بالمنطق العقلي، وبالأحكام الظاهرة، ولا بد من إدراك ما وراءها من الحكمة المغيبة؛ وإلا بقيت عجيبة تثير الاستنكار، لذلك يخشى العبد الصالح الذي أوتي العلم على موسى ألا يصبر على صحبته.

١١- العزم على الصبر والطاعة في سبيل تلقي العلم والاستعانة بالله:

﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ "أن من ليس له قوة الصبر على صحبة العالم والعلم، وحسن الثبات على ذلك، أنه يفوته بحسب عدم صبره كثيرٌ من العلم. فمن لا صبر له لا يدرك العلم، ومن استعمل الصبر ولازمه، أدرك به كل أمر سعى فيه، لقول الخضر -يعتذر عن موسى بذكر المانع لموسى في الأخذ عنه- إنه لا يصبر معه"[3].

١٢- جواز وضع العالم شروطاً لمن يأتي لطلب العلم:

﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾، فاشترط الخضر على موسى شرطاً،

---

(١) فتح الباري ١/٢٠٢-٢٠٤.

(٢) تيسير اللطيف المنان٢٥٧ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن ٤٨٤.

واضحاً بيناً ليحصُلَ له علمٌ مما علمه الله الخضر.

١٣– تعليم العلماء لطلابهم آداب الطلب والتخاطب مع العلماء:

﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ وذلك لمعرفة الخضر أن ذلك لا يناسب موسى عليه السلام فإنه إن انشغل بالسؤال ذهب عنه العلم بها.

١٤– مراعاة المعلم مستوى المتعلم ووقت التعليم:

"وفي ذلك أن المعلم إذا رأى المصلحة في إيعازه للمتعلم أن يترك الابتداء في السؤال عن بعض الأشياء، حتى يكون المعلم هو الذي يوقفه عليها فإن المصلحة تتبع، كما إذا كان فهمه قاصراً، أو نهاه عن السؤال عن دقيق الأشياء التي غيرها أهم منها، أو لا يدركها ذهنه، أو يسأل سؤالاً لا يتعلق بموضع البحث"[1].

١٥– اهتمام المعلم بطلاب العلم:

وذلك بملازمته طلابه، وأخذهم معه لكي يتعلموا منه كل شيء كما قال تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ﴾، ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ﴾ ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾.

١٦– الأمر بالتأني والتثبت:

وذلك بعدم المبادرة إلى الحكم على الشيء حتى يعرف ما يراد منه وما هو مقصود، وذلك بإنكاره عليه أنه أنكر ولم ينتظر معرفة سبب فعل الخضر له، وقد بيَّن له مسبقاً أن ذلك السؤال غير متأت له، وضمن له معرفة الجواب بعد.

١٧– صبر العالم وتلطفه بالطالب:

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ "فينبغي للعالم أن يأخذ من أخلاق طلابه ومعاملاتهم العَفْو منها، وما سمحت به أنفسهم، ولا ينبغي له أن يكلفهم ما لا يطيقون، أو يشق عليهم ويرهقهم، فإن

---

(١) مجلة البيان عدد ٦٢، مقال بعنوان: موسى بين يدي الخضر دروس في أدب الطلب للشيخ: خالد بن صالح السيف.

هذا مدعاة إلى النفور منه والسآمة، بل يأخذ الميسر ليتيسر له الأمر"[1].

١٨– اعتذار الطالب وطلب المسامحة عند الخطأ:

بل ذلك بطيب نفس مع الاعتراف بالخطأ ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ فهول الأمر وتفاجئ موسى عليه السلام أنساه الشرط وأعسر عليه الصبر والسكوت عما رآه في الظاهر خطأً.

١٩– عدم التعسير على الطلاب ومحاسبتهم عند أول خطأ:

بل ومحاولة إعطائهم عدة فرص والتماس العذر لهم، قال موسى عليه السلام: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ أي: "لا تعسر علي الأمر واسمح لي، فإن ذلك وقع مني على وجه النسيان فلا تؤاخذني في أول مرة، فجمع بين الإقرار به والعذر منه، وأنه ما ينبغي لك أيُّها الخضر الشدة على صاحبك، فسمح عنه الخضر"[2].

"فينبغي للإنسان أن يأخذ من أخلاق الناس ومعاملاتهم العفو وما سمحت به أنفسهم، ولا ينبغي له أن يكلفهم ما لا يطيقون، أو يشدد عليهم ويرهقهم فإن هذا مدعاة إلى النفور منه والسآمة، بل يأخذ الميسر ليتيسر له الأمر"[3].

٢٠– تبيين المشكل من المعلم للطلاب :

وذلك لكي لا يظلوا في حيرة ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾، فوعد الخضر موسى عليه السلام أن يخبره بحال وحقيقة الأمر في المواضع الثلاثة التي أنكرها موسى عليه السلام لمخالفتها الظاهرة، وبينها له بعد انتهاء العقد بينهما وانفصال الأمر .

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٤٨٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) مجلة البيان عدد ٦٢، مقال بعنوان: موسى بين يدي الخضر دروس في أدب الطلب للشيخ: خالد بن صالح السيف.

٢١– أن يكون المعلم قدوة للطالب في عمل الخير:

فالأعمال التي عملها الخضر هي عبارة عن أعمال خير وبر ومساعدة للناس. وإن كان ذلك لم يكن بادياً من ظاهرها لأول وهلة، حتى فسرها وبين تأويلها .

٢٢– تعليم الطالب التأدب في الخطاب:

لقد برز في القصة تعليم الطالب التأدب في الخطاب مع الله سبحانه وتعالى، ومن ثمّ مع كل من له مكانة وقدر :حيث إنَّ الخضر لم ينسب لله سبحانه وتعالى الشر مع أن الخير والشر من عند الله تعالى وذلك يتضح في النقاط التالية :

أ– ففي خرق السفينة قال: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ ولم يقل فأراد ربي مني أن أعيبها .

ب– وفي قتل الغلام قال: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۝ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ فعندما أراد القتل قال: ﴿فَخَشِينَا ... فَأَرَدْنَا﴾ وعندما أراد التبديل بما هو خير قال: ﴿يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ ولم يقل أبدلهما أنا خيراً من ذلك الغلام.

ج– وفي إصلاح حال الغلامين واستخراج كنزهما، قال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ فنسب الخير كله لله تعالى .

وهذا التوجيه وهذه الرعاية بطريقة غير مباشرة عن طريق القدوة، التي نحن في أشد الحاجة إليها في هذا الوقت لما نفتقده من قلة وجود القُدُوَات والإمامة في الخير .

٢٣– أن مَن لا صبر له لا يدرك مطلبه:

فمَن ليس عنده قوة الصبر على صحبة العَالم والعِلم، وحُسن الثبات على ذلك ليس أهلاً لتلقّي العلم؛ فمَن لا صبر له لا يدرك العلم، ومن استعمل الصبر ولازمه أدرك به كل أمرٍ سعى إليه؛ لقول الخضر: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾.

٢٤- وجوب التأني عند الإنكار في المحتملات:

"فإن الذي فعله الخضر ليس في شيء مما يناقض الشرع، وإن نقص لوح من ألواح السفينة لدفع الظالم عن غصبها ثم إذا تركها أعيد اللوح جائز شرعاً وعقلاً ولكن مبادرة موسى بالإنكار بحسب الظاهر"(١).

المبحث الثاني

قصة مؤمن آل فرعون

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[سورة غافر ٢٨].

" قال ذلك الرجل المؤمن الموفق العاقل الحازم، مقبحًا فعل قومه، وشناعة ما عزموا عليه: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ أي: كيف تستحلون قتله، وهذا ذنبه وجرمه، أنه يقول ربي الله، ولم يكن أيضا قولا مجردًا عن البينات، ولهذا قال: ﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ لأن بينته اشتهرت عندهم اشتهارًا علم به الصغير والكبير، أي: فهذا لا يوجب قتله.

فهلا أبطلتم قبل ذلك ما جاء به من الحق، وقابلتم البرهان ببرهان يرده، ثم بعد ذلك نظرتم: هل يحل قتله إذا ظهرتم عليه بالحجة أم لا؟ فأما وقد ظهرت حجته، واستعلى برهانه،فبينكم وبين حل قتله مفاوز تنقطع بها أعناق المطايا.

ثم قال لهم مقالة عقلية تقنع كل عاقل، بأي حالة قدرت، فقال: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ أي: موسى بين أمرين، إما كاذب في دعواه أو صادق فيها، فإن كان كاذبًا فكذبه عليه، وضرره مختص به، وليس عليكم في ذلك ضرر حيث امتنعتم من إجابته وتصديقه، وإن كان صادقًا وقد جاءكم بالبينات، وأخبركم أنكم إن لم تجيبوه عذبكم الله عذابًا في

(١) فتح الباري ١/٢٦٨.

الدنيا وعذابًا في الآخرة، فإنه لا بد أن يصيبكم بعض الذي يعدكم، وهو عذاب الدنيا.

وهذا من حسن عقله، ولطف دفعه عن موسى، حيث أتى بهذا الجواب الذي لا تشويش فيه عليهم، وجعل الأمر دائرًا بين تينك الحالتين، وعلى كل تقدير فقتله سفه وجهل منكم.

ثم انتقل ﷺ وأرضاه وغفر له ورحمه – إلى أمر أعلى من ذلك، وبيان قرب موسى من الحق فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ أي: متجاوز الحد بترك الحق والإقبال على الباطل. ﴿كَذَّاب﴾ بنسبته ما أسرف فيه إلى الله، فهذا لا يهديه الله إلى طريق الصواب، لا في مدلوله ولا في دليله، ولا يوفق للصراط المستقيم، أي: وقد رأيتم ما دعا موسى إليه من الحق، وما هداه الله إلى بيانه من البراهين العقلية والخوارق السماوية، فالذي اهتدى هذا الهدى لا يمكن أن يكون مسرفًا ولا كاذبًا، وهذا دليل على كمال علمه وعقله ومعرفته بربه"[1].

يظهر لنا من قصة مؤمن آل فرعون رعاية موسى عليه السلام لطلبة العلم الذين عنده من الناحية الأمنية ومن الناحية التربوية والعلمية دروساً كثيرة ومنها:

١- قد كان هذا الرجل يتعلم، ويدل على ذلك ما جاء في نصيحته لهم في هذه الآية قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾.

وباقي الآيات عندما حدثهم عن اليوم الآخر والأقوام الذين قبلهم وغيرها قال تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة غافر: ٢٩-٣٤].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٧٣٧.

٢– وظهر أنه عندما كان يتعلم من موسى عليه السلام وكان لا يعلم عنه أحد مع أنه كان من المقربين لفرعون ومن عشيرة فرعون، ولذلك قال الله عنه: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ ﴾.

٣– وتظهر الرعاية التربوية لهذا الطالب المؤمن الذي يكتم إيمانه أنه عندما جاء وقت الدفاع عن الدعوة وعن معلمه وشيخه وإخوانه الذين يطلبون العلم من موسى عليه السلام قال كلمات يدافع بها عنهم، فهو قد تربى أنه لا مجال الآن للسكوت في وقت يكون فيه السكوت خطراً على الداعية والدعوة، فهو قد تربي على أن لكل شيء أوانه ووقته، فلم يكن مستعجلاً ولا متخاذلاً.

٤– وفي كون هذا الرجل المؤمن من شيعة وقوم فرعون في النسب والقومية ما يدل على أنه تربى على عبادة الله وإخلاص الطاعة له وقبول الحق والصواب ممن كان، ولو من القومية المعادية لقوميته والأنزل في الرتبة في مقاييس ذلك اليوم.

٥– لقد تعلم وتأصل لديه جيداً أن الحق هو ما بان عليه الدليل ووافقه العقل السليم لا مجرد الدعاوى والزخارف القولية، وقوة الجبروت والظلم والطغيان كما وضحها في احتجاجه واستدلاله.

المبحث الثالث

قصة الغلام والساحر والراهب

المطلب الأول: ما ورد من القصة في القرآن والسنة.

قال تعالى: ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ ﴾[سورة البروج٤–٩].

عن صهيب الرومي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إلي غلاما أعلمه السحر. فبعث إليه غلاما يعلمه، فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مر

بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر.

فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أَعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل علي.

وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله. فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي. قال: أولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام.

فَجِيء بالغلام فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل .. وتفعل، فقال: إني لا أشفي أحدا إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجئ بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك!! فأبى. فدعي بالمنشار فوضع المنشار على مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه.

ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك!! فأبى. فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه.

ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك!! فأبى. فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه.فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا.

وجاء يمشي إلى الملك: فقال له الملك ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله. فدفعه إلى نفر من

أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور[1] فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه. فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا[2].

وجاء يمشي إلى الملك. فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله. فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهما من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني.

فجمع الناس في صعيد واحد،وصلبه على جذع، ثم أخذ سهما من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: باسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات. فقال الناس: آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام.

فأُتي الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس. فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخدت وأضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه[3] فيها – أو قيل له: اقتحم– ففعلوا، حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك على الحق)[4].

هذه قصة كفاح طالب علم ومعلمه نستنبط منها الفوائد العملية في موضوعنا.

---

(١) قرقور: بضم القافين وهي السفينة قيل الصغيرة وقيل الكبيرة. للنهاج ١٣١/١٨، الديباج ٣٠٦/٦.

(٢) أشكل على بعض الباحثين أن نجران لابحر فيها. والجواب فيما قاله السهيلي في الروض الأنف ص٩٦:"فأرسله إلى مياه نجران، وهي بحور لا يقع فيها شيء إلا هلك"، وهكذا قال ابن الأثير في الكامل في التاريخ ١٤٦/١، والقرطبي في جامعه ٢٩٢/١٩. ولا يستبعد أن يكون البحر هو الأحمر، لما ورد في كتب التاريخ عن علاقتهم بالحبشة وملوكها.

(٣) فأحمو ه: بهمزة قطع وحاء ساكنة أي: ارموه. وفي رواية بالقاف(فاقحموه) أي: اطرحوه كرها. للنهاج١٣٢/١٨، الديباج ٣٠٦/٦.

(٤) صحيح مسلم كتاب الزهد باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام (٣٠٠٥).

المطلب الثاني: الفوائد العملية من القصة.

أولاً: قواعد للعلماء والمسؤولين عن رعاية طالب العلم:

١– اهتمام العلماء بتوريث العلم:

يجب أن يكون هناك اهتمام من العلماء بتوريث العلم لطلاب العلم، فالناظر إلى بداية القصة يجد أن الساحر مع كفره وخطورة علمه على الناس وعلى الدين، كان حريصاً على أن يورث هذا العلم لكي لا ينقطع، فأخبر الملك بما يريد فأجابه .

فكيف لو كان هذا العلم علماً شرعياً لكان أولى بأصحابه أن يورثوه ويهتموا بمن سيورثونهم هذا العلم، وقد جعل الله العلم من الأعمال التي لا تنقطع بموت صاحبها، قال ﷺ (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو والد صالح يدعو له)[1].

٢– ابتعاث من يقوم بالعلم مع رعايته:

قبول الملك لطلب الساحر في ابتعاث غلام ليتعلم السحر من الساحر يبين ما يجب على المسؤولين في البلاد من التعاون بين العالم والمتعلم فلكل من العالم والمسئول دور في نشر العلم، فدور المعلم التعليم والعناية بالمتعلم، ودور المسئول هو العناية بالطالب وتقـديم ما يحتاج إليه، وتهيئة الأسباب لذلك.

٣– الاهتمام بالنجباء من الطلبة:

فإن اختيار العالم صغار السن والنجباء من الطلبة، أمرٌ لابد من العناية به، ليحسن تنشئتهم وتربيتهم على العلم المقدم لهم .

٤– تفريغ الطلاب للعلم:

تفريغ الطلاب للعلم فقط، وكفايتهم ما يشغلهم عن طلبه، وتنميته والاهتمام به، فإن تفريغهم له حريٌّ بإتقانهم وفهمهم له، فالساحر قال للملك (أرسل لي غلاماً أعلمه السحر).

---

(١) أخرجه الإمام مسلم كتاب الوصية باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (١٦٣١).

ثانياً : قواعد رعاية طالب العلم عند المعلم الصالح:

١– أن يكون المعلم ذا تأثير في قلب المتعلم:

من العناية بطالب العلم أن يكون المعلم ذا كلام مؤثر في قلب المتعلم ولذا قال رسول الله ﷺ (فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه)، ولو أن هذا الراهب لم يكن كلامه مؤثراً في قلب الطالب هل سيحصل بذلك تعلم وإعجاب وحضور دائم للدرس؟

ومع ذلك فإن الغلام كان يُضْرب من قبل أهله، ومن قبل الساحر عندما يتأخر عند الراهب، فكان يصبر ويتحمل المكاره في سبيل تعلم ما ينفعه .

٢– تميز المعلم بالشفقة والرحمة لطلابه:

ليس من طبيعة أهل العلم أن يعملوا على أذية طلابهم، بل يجب أن يكون فيهم الشفقة والرحمة بطلابهم، فالراحمون يرحمهم الرحمن، وتأمل قول الراهب وهو يخاطب الغلام: (أي بني) بكل ما تعنيه الكلمة من عطف وحنان الأب على ولده.

بخلاف ذلك الساحر الذي يعلم الغلام السحر مع كفره وكفر ما يعلمه للغلام يوجد به قسوة وعدم رحمة، بل ورَّثَه نُفرةً من العلم وصاحبه، وكُرْهٍ لذلك العلم الذي لا يحث صاحبه والعامل به على الرحمة بالناس وبالطلبة خصوصاً.

ولا غرابة في ذلك لأن العلم الذي لا يحث صاحبه على العمل بالحق والرحمة بالخلق– لا سيما طلابه– جديرٌ بأن يُكره ويُنبذ.

٣– دور المعلم في خلق ثقة طلابه به:

إن دور المعلم ليس نفث المعلومات فقط، وإنّما زرع الثقة في طلابه، فماذا يفعل هذا الطالب في المشكلة التي تحصل له كل يوم؟ إنه ذهب إلى من يثق به ويعلم أن عنده الحل لمشكلته، إنه معلمه الراهب، فإن الطالب إذا أحس باهتمامٍ من شيخه عرض عليه ما يعتريه من مشكلات خاصة به، أو مشكلات تتعلق بطلبه للعلم، أو العمل به.

٤– العناية بإزالة العقبات التي تمنع طالب العلم:

ويأتي دور الشيخ في العناية بإزالة العقبات التي تمنع طالب العلم من السير في الطريق الحق، يقترح على طالبه حلاً لمشكلته قبل أن تتطور المشكلة ويذهب طالب العلم عنه.

فقال الراهب للغلام الطالب: (إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر)، وهكذا يخرج الراهب الغلام من مشكلته بفقهٍ بالحق وبواقع طلابه.

٥- أن يعرض فعله على شيخه ليصوبه:

ثم يأتي موقف آخر يلجأ الغلام لمعلمه ليعرف منه حقيقة الأمر، فهو اقتنع بثقته بمعلمه والحق الذي معه وهو موقف الدابة، التي سدت على الناس الطريق، وأبعدها هو بقوله (اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة) ورماها بحجر فقتلها ومضى الناس، فيعرض فعله على شيخه ليصوبه إن كان خاطئاً؛ فيكون الجواب: (أي بني أنت اليوم أفضل مني).

٦- أن يبين له الواقع ويبين له حقيقة الطريق:

ويأتي الدور الآخر من عناية المعلم بتلميذه وهو أن يبين له الواقع ويبين له حقيقة الطريق الذي سلكه، لقد سلك الغلام طريق العلم الحق الذي يأمره بأن يدعو إليه لا يعلمه فقط، فينتقل المعلم بطالبه من ميدان التعلم إلى ميدان العمل والدعوة بما تعلم، وأن هذا الطريق شاق وكله ابتلاءات، فيحتاج إلى صبر وعزيمة.

أتى الغلام الراهب فأخبره فقال له الراهب: (أي بني؛ أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل علي).

٧- أن يبين له تفوقه ويشجعه:

من رعاية المعلم لتلمذه أن يبين له تفوقه حتى ولو كان تفوقه ذلك يفوق معلمه لأن المعلم الحق هو الذي يحب لطالبه ما يحب لنفسه أو أكثر لأنه لا يتعلم أمراً من أمور الدنيا يتنافس فيه أهل الدنيا وإنما هو يتعلم علم الدنيا والآخرة الذي سيستمر أجره إلى يوم القيامة (أي بني؛ أنت اليوم أفضل مني).

٨- أن يكون قدوة لطالبه بالعمل:

على المعلم أن يكون قدوة لطالبه بالعمل بما يعلمه لطالبه فهذا الراهب يقتل من أجل هذا الدين فقد جاء في القصة (فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدُعي بالمنشار فوضع المنشار على مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقَّاه)، ولاحظ أن تلميذه ينظر إليه.

ونتيجة لتلك التربية القولية والعملية، وقف الغلام أمام الملك وصدع بكلمة الحق ولم يثنه عن دينه ودعوة الناس رغم تلك التهديدات، بل صبر عليها الغلام فكانت علامةً واضحة على صدقه .

فمن أجل نشر دين الله تعالى وهداية الناس قدم الغلام نفسه لله تعالى، إقتداءً بشيخه ومعلمه الراهب، فآمن كل الناس، فهذه هي نتيجة الاعتناء والتربية والصبر على تعليم وتربية طلاب العلم.

المبحث الرابع

قصة أصحاب الكهف

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۝ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝﴾ [سورة الكهف٩-١٠].

"قصة هؤلاء الشباب، أنهم دخلوا إلى كَهْف يريدون بذلك التحصن والتحرز من فتنة قومهم لهم: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ أي: تثبتنا بها وتحفظنا من الشر، وتوفقنا للخير ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ أي: يسر لنا كل سبب موصل إلى الرشد، وأصلح لنا أمر ديننا ودنيانا، فجمعوا بين السعي والفرار من الفتنة، إلى محل يمكن الاستخفاء فيه، وبين تضرعهم وسؤالهم لله تيسير أمورهم، وعدم اتكالهم على أنفسهم وعلى الخلق، فلذلك استجاب الله دعاءهم، وقيض لهم ما لم يكن في حسابهم "(١).

قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۝﴾

(١) تيسير الكريم الرحمن ٤٧١.

[سورة الكهف١٣].

أي : "آمنُوا بالله وحده لا شريك له من دون قومهم، فشكر الله لهم إيمانهم، فزادهم هدى، أي: بسبب أصل اهتدائهم إلى الإيمان، زادهم الله من الهدى، الذي هو العلم النافع، والعمل الصالح"(١).

فهؤلاء ذهبوا يطلبون الحق والخير في أمور دينهم ودنياهم، وتعاونوا على ذلك، ورعى كل واحد منهم أخاه في هذه الرحلة التي جعلوها لله .

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾[سورة الكهف ١٩].

"ثم إنهم لما تساءلوا بينهم، وجرى منهم ما أخبر الله به، أرسلوا أحدهم بورقهم، أي: بالدراهم، التي كانت معهم، ليشتري لهم طعاما يأكلونه، من المدينة التي خرجوا منها، وأمروه أن يتخير من الطعام أزكاه، أي: أطيبه وألذه، وأن يتلطف في ذهابه وشرائه وإيابه، وأن يخفي في ذلك، ويخفي حال إخوانه، ولا يشعرن بهم أحدا. وذكروا المحذور من اطلاع غيرهم عليهم، وظهورهم عليهم، أنهم بين أمرين، إما الرجم بالحجارة، فيقتلوهم أشنع قتلة، لحنقهم عليهم وعلى دينهم، وإما أن يفتنوهم عن دينهم، ويَرُدُّوْهُم في ملتهم، وفي هذه الحال، لا يفلحون أبدا، بل يخسرون في دينهم ودنياهم وأخراهم"(٢).

ومن هنا يمكن استخراج بعض الفوائد من الآيات في رعاية طلاب العلم:

١– الحث على العلم، وعلى المباحثة فيه، لكون الله بعثهم لأجل ذلك، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾.

(١) المصدر السابق.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٤٧٣.

٢- التعاون فيما بينهم في تحصيل الرزق قال تعالى: ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾.

٣- حث هؤلاء الذي يطلبون الحق بعضهم البعض على أكل الطيبات من الطعام، كما ذكر الله عن قولهم: ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾.

٤- الاهتمام بالجانب الأمني "والحث على التحرز، والاستخفاء، والبعد عن مواقع الفتن في الدين، واستعمال الكتمان في ذلك على الإنسان وعلى إخوانه في الدين"(١). قال تعالى: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾.

٥- التعاون والتدارس في تحصيل العلم وفي العمل به، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾.

٦- تثبيت بعضهم لبعض في البلاء، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾.

٧- تربيتهم على حسن التوكل على الله، قال تعالى: ﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾.

٨- الهجرة والرحلة في سبيل الحق والعمل بالعلم ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾.

٩- ترك الجدال فيما لا ينفع، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾.

١٠- حسن الأدب مع الله تعالى حيث وكلوا العلم لله وحده، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾.

---

(١) للصدر السابق.

١١–لفت النظر إلى الاهتمام بالشباب فهم عماد الدعوة ومستقبلها قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾.

١٢–طالب العلم لا يخلو من طلب اللجوء لله تعالى في كل أحواله، قال تعالى: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ مع أنهم هاجروا وهربوا بدينهم من الكفر وأهله.

١٣–أن العلم والإيمان طريق طويل لكن الله تعالى يهيئه وييسره لمن سلك سبيله، قال تعالى: ﴿ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾.

١٤–أن التوكل لا ينافي أخذ الأسباب بل هي منه، فهؤلاء صحبوا كلبهم ونفقتهم، وأخذوا حذرهم مع توكلهم على الله تعالى.

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد :

فهذه لمحة موجزة في رعاية الله لأنبيائه وأتباعهم التي ذكرها الله لنا في القرآن، وتبين لنا فيها أهم مقومات هذا المنهج الإسلامي الفريد في رعاية طلاب العلم، والذي أخرج أفضل جيل ظهر على وجه الأرض، وتبين لنا الأدوار التي يجب أن يقوم بها كل فرد من أفراد المجتمع لمواصلة المسيرة، وما تحتاجه تلك المسيرة من الاهتمام، ويمكن بيان ملخص ذلك في النقاط التالية:

١– أهمية طلب العلم، حيث إنَّ الله عز وجل أمر بتخصيص فئة له، وتكفل الله سبحانه وتعالى برعايتهم وتربيتهم، والرحلة تفتقر إلى رعاية، وهذا حصل للأنبياء وأتباعهم، فهي سيرة الصالحين ودأبهم.

٢– أن رعاية طلاب العلم تعينهم في الوصول إلى أهدافهم، وتحقيق ما ارتحلوا إليه من أجله.

٣– رعاية الله عز وجل لأنبيائه تتجلى في إرشادهم وهدايتهم إلى الطريق المستقيم، فقد آتاهم الكتاب والحكمة.

٤– من رعاية الله لأنبيائه أن سخر لهم معاشهم.

٥– من رعاية الله لأنبيائه أن حذرهم عوائق طلب العلم.

٦– من رعاية الله لأنبيائه أن بصرهم بأساليب الدعوة.

٧– من رعاية الأنبياء لطلابهم تعليمهم آداب الطلب والتخاطب مع العلماء، مع وصيتهم بالصبر على طلب العلم ووسائل تلقيه.

٨– يجب على المسؤولين في كل بلد التعاون مع علماء ذلك البلد في تبليغ العلم لطلابه، فدور العالم التعليم والعناية بالمتعلم، ودور المسؤول العناية بالعالم والمتعلم في تقديم ما يحتاجان إليه.

٩– من رعاية العالم بطلابه أن يختار لهم الكلام الطيب المؤثر ليدفعهم إلى العمل بالعلم وتطبيقه.

١٠- من رعاية طلاب العلم لبعضهم حثُّ بعضهم لبعض على المباحثة في العلم، والتعاون فيما بينهم في تحصيل الرزق الذي يساعدهم على مواصلة الطلب.

١١- رعاية الله سبحانه وتعالى لأنبيائه، ورعاية الأنبياء لطلابهم هي السنة المهجورة التي يجب أن تُحيَا في واقع المجتمعات العلمية والتعليمية اليوم.

١٢- ضرورة النظر في كتاب الله تعالى لاقتباس شيء من نوره والتعلم منه خطط إقامة جميع أمور حياتنا ولا يقتصر فقط على تلاوته والتغني به.

١٣- بروز الحاجة الشديدة لبرنامج رعاية طلاب العلم، وخصوصاً طلاب العلم الشرعي، لأنهم باعوا أوقاتهم وأعمارهم، ودنياهم من أجل إخراج الناس من الضلال إلى الهدى.

١٤- ضرورة إنشاء مؤسسات منظمة تقوم على رعاية طلاب العلم خصوصاً في هذا الوقت الذي تكالبت فيه أمم الأرض الباطلة على الإسلام وأهله ومن يدعوا إليه، مما جعل كثيراً من الشباب يهرب عن تعلم العلم لكي لا يصيبه مكروه .

١٥- ضرورة رعاية جيل طلاب العلم في كل المجالات، وتخصيص كل فئة في نوع من العلوم .

١٦- الحاجات التي رعى الله تعالى طلاب العلم بها، من التي ذكرناها وغيرها مما لم نذكره – بسبب قصورنا – تحتاج إلى تنظيم برامج ومناهج تتبناها مؤسسات أو جمعيات خيرية أو حكومية لتتحقق هدف صناعة الأجيال، لنعيد صياغة مستقبل أمتنا على نور وهدىً من شرع الله.

١٧- أملنا أن يكون هذا البحث خطوة لتحقيق ذلك الأمل الذي نتمناه والذي يتمناه المسلمون في كل مكان كما يتمناه المخلصون لهذا الدين من علماء وأساتذة ودعاة سواء بسواء .

اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وممن يهتدون بهدي سيد البشر، وممن يكونون معينين على إيصال سنته إلى كل البدو والحضر، وممن يقومون على رعاية من يطلب هذه السنة ويوصلونها للناس، وأن نكون ممن يقوم على وضع لبنة من لبنات بناء صرح هذه الأُمة العظيم.

كما أسأله سبحانه أن يجزي خيراً كل من ساهم في إخراج هذا البحث بتوجيه أو فكرة أو تصويب خطأ أو بيان، وأن لا يحرمنا وإياهم الأجر، كما أسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به المسلمين، وأن يكون حجة لنا لا علينا، اللهم أمين.

وفي الختام أقول هذه محاولة بشر، أراد بها الخير له ولأمته ولإخوانه في طريق طلب العلم والدعوة إلى الله، وعمل البشر لا يخلو من أخطاء وزلل فما كان في هذا العمل من خير وصواب فمن توفيق الله وحده، وما كان فيه من خطأ وزلل فمن الشيطان، وأسأل الله تعالى أن يغفره لي، وأن يتجاوز عني.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم .

٢. أصول الدعوة –عبد الكريم زيدان– مكتبة المنار الإسلامية– ط٣ (١٣٩٦هـ) .

٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن– محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي – دار الفكر – بيروت – ط (١٤١٥هـ ١٩٩٥م).

٤. البحر المحيط – محمد بن يوسف أبوحيان الأندلسي – دار الفكر – بيروت – ط٢(١٤٠٣هـ).

٥. تاريخ الأمم والملوك – أبوجعفر محمد بن جرير الطبري –دار الكتب العلمية – بيروت – ط٢ (١٤٠٨هـ).

٦. التحرير والتنوير –ابن عاشور –الدار التونسية للنشر –تونس– ١٩٨٤م.

٧. تفسير الجلالين –جلال الدين محمد بن أحمد المحلي– وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي– الناشر : دار الحديث –القاهرة– الطبعة ١.

٨. تفسير القرآن العظيم –عبدالرحمن بن محمد ابن أبي حاتم– مكتبة نزار مصطفى الباز– مكة المكرمة– ط١(١٤١٧هـ)

٩. تفسير القرآن العظيم– إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي – تحقيق: سامي السلامة– دار طيبة –الرياض –ط١(١٤١٨هـ).

١٠. تفسير مقاتل بن سليمان– أبوالحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي– تحقيق: أحمد فريد– دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ (١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م).

١١. التوبة لابن أبي الدنيا – أبوبكر عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي المعروف بابن أبي الدنيا– تحقيق: مجدي السيد إبراهيم– مكتبة القرآن– القاهرة.

١٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان –عبدالرحمن بن ناصر السعدي –مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر –ط١(١٤٢٠هـ).

١٣. تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن– عبدالرحمن بن ناصر السعدي– ط٢ (١٤٠٩هـ).

١٤. جامع البيان عن تفسير آي القرآن – محمد بن جرير الطبري – تحقيق د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي – مركز البحوث والدراسات الإسلامية – القاهرة – ط١ (١٤٢٢هـ ٢٠٠١م).

١٥. الجامع لأحكام القرآن – محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي – دار الكتاب العربي .

١٦. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء – أبونعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني– دار الكتاب العربي – بيروت – ط٤ (١٤٠٥هـ).

١٧. الدر المنثور في التفسير بالمأثور – جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي – تحقيق د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي – مركز هجر للبحوث والدراسات الإسلامية والعربية – القاهرة – ط١ (١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م).

١٨. الديباج على مسلم – جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي – حققه: أبوإسحق الحويني الاثري – دار ابن عفان– الخبر– السعودية– ط١(١٤١٦هـ ١٩٩٦م).

١٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي– دار الفكر– بيروت – ط٣ ١٤٠٣.

٢٠. الروض الأنف – عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد السهيلي، إخراج: عبدالرؤوف سعيد– دار المعرفة – بيروت – ط منقحة، (١٣٩٨هـ ١٩٧٨م).

٢١. شعب الإيمان – أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي– تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ (١٤١٠هـ).

٢٢. صحيح البخاري – محمد بن إسماعيل البخاري– اعتناء أبي صهيب الكرمي – بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع – الرياض – (١٤١٩هـ ١٩٨٩م).

٢٣. صحيح مسلم – مسلم بن الحجاج النيسابوري– اعتناء أبي صهيب الكرمي– بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع – الرياض – (١٤١٩هـ ١٩٨٩م).

٢٤. فتح الباري بشرح صحيح البخاري – أحمد بن على بن حجر العسقلاني – ترقيم وتبويب محمد فؤاد عبدالباقي – دار الريان للتراث – القاهرة – ط١(١٤٠٧هـ ١٩٨٦م).

٢٥. في ظلال القرآن – سيد قطب – دار العلم للطباعة والنشر – جدة – ط١٢ (١٤٠٦هـ ١٩٨٦م).

٢٦. القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث –صلاح الخالدي –دار القلم –دمشق –ط١ (١٤١٩هـ).

٢٧. الكامل في التاريخ – علي بن محمد بن عبدالكريم الجزري المعروف بابن الأثير– دار صادر– بيروت (١٣٩٩هـ ١٩٧٩م).

٢٨. لباب التأويل (تفسير الخازن) –علي بن محمد بن إبراهيم الشهير بالخازن– دار الفكر.

٢٩. مجلة البيان –تصدر عن المنتدى الإسلامي–عدد٦٢– مقال بعنوان: موسى بين يدي الخضر –د خالد صالح السيف.

٣٠. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع ابن قاسم، طبعة خادم الحرمين الشريفين بإشراف رئاسة شؤون الحرمين، (١٤٠٤هـ).

٣١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز– أبومحمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي– تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد– دار الكتب العلمية – بيروت – (١٤١٣هـ ١٩٩٣م).

٣٢. معالم التنزيل معالم التنزيل– أبومحمد الحسين بن مسعود البغوي –حققه محمد عبدالله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش – دار طيبة – الرياض –ط٤ (١٤١٧هـ ١٩٩٧م).

٣٣. المنهاج شرح صحيح مسلم (شرح النووي)– أبوزكريا يحيى بن شرف بن مري النووي– دار إحياء التراث العربي –بيروت –ط٢ (١٣٩٢هـ).

٣٤. النكت والعيون– أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي – تحقيق: السيد ابن عبدالمقصود بن عبدالرحيم – دار الكتب الثقافية – بيروت – ط١ (١٤١٢هـ ١٩٩٢م).

فهرس الموضوعات

المقـــدّمـــة ١٢٣

الفصل الأول: رعاية الله لأنبيائه عليهم السلام ١٢٦

المبحث الأول: رعاية الله للأنبياء عموماً ١٢٧

المبحث الثاني :رعاية الله لآدم عليه الصلاة والسلام ١٣١

المبحث الثالث :رعاية الله لإبراهيم عليه السلام ١٣٥

المبحث الرابع :رعاية إبراهيم لابنه إسماعيل عليهما السلام ١٤٤

المبحث الخامس:رعاية الله ليوسف عليه السلام ١٤٧

المبحث السادس :رعاية يعقوب ليوسف وإخوته عليهم السلام ١٥٢

المبحث السابع: رعاية الله لموسى عليه السلام ولأمه ١٥٤

المبحث الثامن: رعاية الله لداود عليه الصلاة السلام ١٦١

المبحث التاسع: رعاية الله لسليمان عليه الصلاة والسلام ١٦٨

المبحث العاشر: رعاية الله لأيوب عليه السلام ١٧٣

المبحث الحادي عشر:رعاية الله ليحيى وأبيه زكريا عليهما الصلاة والسلام ١٧٦

المبحث الثاني عشر :رعاية الله لعيسى عليه الصلاة والسلام ولأمه ١٨٠

الفصل الثاني : رعاية الله لأتباع الأنبياء والرسل في طلب العلم وتعليمه ١٨٤

المبحث الأول:قصة موسى والخضر ١٨٤

المبحث الثاني:قصة مؤمن آل فرعون ١٩٤

المبحث الثالث:قصة الغلام والساحر والراهب ١٩٦

المبحث الرابع: قصة أصحاب الكهف ٢٠٢

الخاتمة ٢٠٦

فهرس المصادر والمراجع ٢٠٩

فهرس الموضوعات ٢١٢